

تاريخ الإرسال (22- 9 - 2019)، تاريخ قبول النشر (6-1-2020)

اسم الباحث الأول: د. زايد محمد الخوالدة

\* 1

اسم الباحث الثاني: أ.د إبراهيم محمد الكوفحي

2

اسم الجامعة والبلد: قسم اللغة العربية، كلية الآداب،  
الجامعة الأردنية - الأردن  
اسم الجامعة والبلد:

## الاغتراب في الشعر الأردني: الاغتراب المكاني أنموذجا

E-mail address: [zayedmoh@yahoo.com](mailto:zayedmoh@yahoo.com)

<https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.1/2021/21>

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة الاغتراب في الشعر الأردني وخاصة الاغتراب المكاني، محاولةً الكشف عن أثر هذه الظاهرة، وتأثيرها في حركة الخطاب الشعري عند هؤلاء الشعراء، واستجلاء مواقفهم ورؤاهم وانفعالاتهم، من خلال تتبعها وتقصيها من مصادرها الأصيلة. توقفت الدراسة بعد التمهيد عند ثلاثة محاور: الموقف من المدينة، الحنين إلى المكان، والمنفى، إذ سعت الدراسة إلى إبراز دور ظاهرة الاغتراب في تشكيل النص الشعري، من خلال الإفصاح عن الحالات التي رافقت هذه الظاهرة من مثل الحزن والألم والحنين، والإحباط، والشعور بالقلق والخوف والضياع والموت.

كلمات مفتاحية: الاغتراب، الاغتراب المكاني، الشعر الأردني.

### Alienation in Jordanian Poetry: Spatial Alienation as a Model

#### Abstract:

This study aims to identify the phenomenon of alienation in Jordanian poetry, especially spatial alienation, trying to reveal the impact of this phenomenon and its impact on the movement of poetic discourse of these poets and to clarify their positions and their visions and emotions resulting from this phenomenon through tracking and investigation from its original sources. The study after the introduction addressed three axes: the attitude of the city, nostalgia, and exile. The study sought to highlight the role of the phenomenon of alienation in the formation of poetic text through the disclosure of the cases that accompanied this phenomenon, such as sadness, pain, nostalgia, frustration, anxiety, fear, loss and death.

**Keywords:** Alienation, Spatial alienation, Jordanian poetry.

**تمهيد:**

تعدّ ظاهرة الاغتراب من الظواهر القديمة، التي تناولها المفكرون والدراسون في مختلف العلوم بالدراسة والتحليل؛ فتعددت أشكاله ومظاهره وأسبابه، حتى تداخلت أشكال الاغتراب، مما شكّل غموضاً في وضوح المصطلح، إذ يرى قيس النوري أنّ مصطلح الاغتراب غير محدد المعالم؛ إذ يختلف معناه تبعاً لاختلاف استعماله واستخدامه في بحوثٍ ومعانٍ تبتعد عن المعنى المشترك، ممّا يعطي المفهوم مضامين تختلف عن فحواه؛ فتسبّب له تشويشاً في الظواهر المرتبطة به.<sup>(1)</sup>

ومما لاشكّ فيه أن هذه الظاهرة امتدت إلى العصر الحديث، فوجد الإنسان نفسه يعاني من أزمة مع هذا العصر الجديد؛ فقد تعددت مظاهر الحياة المدنية والحضارية والصناعية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، في ظل قوانين تحكم علاقة الفرد بهذه المظاهر، فوجد الإنسان نفسه في أتون من الأفكار والقوانين والعادات قد تحدّ من حريته أو تسلبها؛ ممّا شكّل انفصلاً بينه وبين هذا العصر. وبالتالي يمكن أن نفهم ما ذهب إليه (إريك فروم) أنّ ظاهرة الاغتراب تعدّ من الظواهر التي لازمت الإنسان على اختلاف العصور و الأزمنة " فطالما أنّ هناك مسافة بيني وبين الآخر، وبينني وبين ذاتي ، وبينني وبين الأشياء ، فلا بد وأن أشعر بالاغتراب ، وطالما أن هناك هوة شاسعة بين المثال والواقع، بين الحلم والحقيقة، فلا بدّ وأن نشعر بالغبية" <sup>(2)</sup>.

وقد تمثّل الشعراء العرب قديماً ظاهرة الاغتراب؛ فالمقدمات الطللية عكست حالة الاغتراب التي يعيشها الشاعر الجاهلي إذ يتمثّل في " فقد الألف والأحباب، وفقدان مذاق الحياة واشتهائها ما دام الحب معادلاً لاستمرار الحياة وخصبها، أو بمعنى آخر، الاغتراب هنا معادل موضوعي للعقم والجذب، وتلك حقيقة كبرى في بيئة الشاعر الفاحلة التي لا تعرف الخصب والعطاء، وإلحاح الشعراء على هذا المعنى في مطالع قصائدهم، يوحي إيحاءً أقرب إلى اليقين بإحساسهم الشديد بغبية الغربة" <sup>(3)</sup> . ولعلّ ظاهرة الاغتراب تتضح بشكلٍ لافتٍ ومؤلم في أشعار الصعاليك ؛ فمنهم من خلعتة القبيلة وآخر قاس ظلم النظام الطبقي والاجتماعي فتمرد، وهام وحيداً يعيش حياةً جديدة محفوفة بالخوف والفقر والقلق والموت، إذ " نحسن تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمنون على وجوههم في الفلوات، وأحراراً فيما يبدو، ومشردين غرباء في الواقع، فإننا نلتفت إلى ما ترك الخلع في وجدانهم من أثر عميق، سجلته أشعراهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية، وقسوة الحرمان من السكن والأهل والدار.." <sup>(4)</sup>.

**الاغتراب في الفكر العربي والإسلامي:**

يقول محمد رجب " إنّ لحظة هبوط الإنسان على الأرض وسيطرة النفس اللوامة عليه هي من بين جميع لحظات الإنسان الوجودية أشدها عمقا وأكثرها إثارة للتوتر والقلق والتأزم، وقد أطلق أحد الباحثين الهنود كلمة (الاغتراب) على هذه اللحظة، ففي نظره الاغتراب في الإسلام، يتمثّل في الإنسان بعدما كان واحداً مع الله ، وصار منفصلاً عنه" <sup>(5)</sup> . ولعلّ حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- " بدأ الإسلام غريباً وسعيود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء" <sup>(6)</sup>، يتضمن إشارةً إلى معنى الغربة والاغتراب، وإن جاءت في سياق المدح. يمكن القول إنّ الغربة ظاهرة عرفها المفكرون العرب والمسلمون؛ إذ يفيد معنى البعد عن الوطن وفراق الأهل والأحبة، إذ يختص بالمكان أكثر منه بالزمان، ولعلّ من أوائل الكتب المختصة بظاهرة الغربة في الأدب العربي، كتاب (أدب الغريب) لأبي فرج الأصفهاني، إذ يقول " فقد الأحبة في الأوطان غربة " <sup>(7)</sup>، كما برز المفهوم أكثر وضوحاً عند التوحيدي بقوله "أغرب الغريب من صار غريباً في وطنه" <sup>(8)</sup>، وهو ما يمثل مفهوم الاغتراب .

(1) - انظر النوري ، قيس ، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً ( ص 13 )

(2) - حماد ، محمد حسن حماد ، الاغتراب عند إريك فروم (ص 159)

(3) - فهمي ، ماهر حسن ، الاغتراب في الأدب العربي (ص 133)

(4) - بنت الشاطيء ، عائشة عبد الرحمن ، : قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر (ص 36)

(5) - انظر رجب ، محمود ، الاغتراب : سيرة ومصطلح ، منشأة المعارف المصرية (ص 18 )

(6) - [ مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الأيمان ، 1/ 358 رقم الحديث 145 ]

(7) - الأصفهاني ، أبو الفرج ، أدب الغريب (ص 32)

(8) - التوحيدي ، الإشارات الإلهية (ص 81)

ويجعل ابن القيم الجوزية الغربة على ثلاثة أنواع : الأولى: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق وهي غربة مدحها الحديث الشريف، و الثانية: غربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، والثالثة: غربة مشتركة لا تحمد ولا تدم، وهي الغربة عن الوطن. (1) وتتضح ظاهرة الاغتراب في حديث أبو حيان التوحيدي عن الغريب عن وطنه " فأين أنت عن غريب قد طالت غريبته عن وطنه، وقلّ حظه ونصيبه من حبيبته وسكنه، وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان " (2)، بل نجده يعمق من هذه المسألة عندما يجد الغريب نفسه غريباً في غريبته أيضاً " بل الغريب من هو في غريبته غريب، والغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة " (3)، متخذاً من المتبني مثلاً لذلك : (4)

بِمِ التَّعَلُّ لا أَهْلٌ ولا وَطَنٌ ولا نَدِيمٌ ولا كَأْسٌ ولا سَكَنٌ

والناظر في الشعر العربي على امتداده منذ العصر الجاهلي، يجد صدى لهذه الغربة وهذا الاغتراب؛ ذلك أنّ النفس البشرية تنزع إلى الحزن والألم والحنين والقلق واليأس والإحباط بسبب ما تواجهه في رحلة الحياة، سواء علاقتها بالمجتمع أو بالآخر، ومن ثم نظرتها للحياة والوجود بشكل عام. ولعلّ مضمون بيت امرئ القيس يدل على هذه الغربة في وقت مبكر : (5)

أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَا هُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

كما يظهر الاغتراب الاجتماعي والنفسي أكثر وضوحاً عند طرفة بن العبد في قوله : (6)

وظلمُ ذوى القربى أشدُّ مضاضةً على المرءِ من وقعِ الحُسامِ المهتدِّ

كما نجدها عندها عنتره ، أكثر عمقا من الناحية النفسية والشواهد في شعره كثيرة في ذلك . (7)

### الغربة والاعتراب:

الغربة تعني انتقال المرء من مكان إقامته، من بين أهله وجيران وأصدقائه وذكرياته وموطنه، إلى موطن آخر جديد يعيد فيه ترتيب أوضاعه .. أما الاغتراب فهو شعور بعدم التجانس وعدم التقارب، إذ يتولد عند الفرد الإحساس بكره المجتمع له وباحتراره؛ إذ يفقد الإنسان بهذه الحالة القيم والمثل الإنسانية، ويخضع لواقع اجتماعي يتحكم به؛ حين يشعر بالانفصال والانعزال عن الآخرين، وحتى العالم. (8) وبالتالي يمكن القول إنّ الغربة تعني البعد والتتحي عن الناس، والتغريب النفي عن البلدان والأوطان، وغرب في الأرض وأغرب إذا أمعن في البعد، وأغرب صار غريباً، وغالبا ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف وجوع ، أما الاغتراب فهو طوعي ؛ يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الانسجام مع المجتمع والعجز عن الانتماء وعدم الرضا بالتقاليد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، إذ يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفرغ النفسي، وشعوره بافتقار الأمن والعلاقات الاجتماعية وافتقار الطمأنينة. (9) .

### الاغتراب لغة واصطلاحاً:

(1) - الجوزية ، ابن القيم ، مدارج السالكين ( ج3/ 196 )

(2) - التوحيدي ، الإشارات الإلهية ( ص113 )

(3) - المرجع السابق (ص114)

(4) - المرجع نفسه (ص 114)

(5) - الفخوري ، ديوان امرؤ القيس ( ص 356 )

(6) - ناصر الدين ، ديوان طرفة بن العبد ( ص 27 )

(7) - مثل قوله: أعاتبُ دهرًا لا يلبثُ لعاتبٍ

وأطلبُ أمناً من صروفِ النوائب

وقوله : ينادونني في السلم يا ابن زبيبة

وعند صدام الخليل يا ابن الأطايب

(8) - انظر نوري ، الاغتراب في الفكر الماركسي (ص 55 )

(9) - خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب (ص 140 )

لفظ ( الغرْب ) بمعنى: "الذهاب والتخفي عن الناس"<sup>(1)</sup>، ولفظ ( التغريب ) بمعنى: النفي والإبعاد عن البلد ، .. وهو أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصن"<sup>(2)</sup>. أما الغربية والغرب، ترد بمعنى النوى والبعد ، يقال: غرب في الأرض إذا أمعن فيها"<sup>(3)</sup>، ولفظة الاغتراب:" افتعال من الغرب ، ورجل غريب : ليس من القوم "<sup>(4)</sup>، والغريب: " الغامض من الكلام." <sup>(5)</sup> وأما لفظ ( اغتراب ) في قولهم: اغترب فلان: إذا تزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث "اغتربوا ولا تضووا" ، أي "لا يتزوج القرابة القريبة فيجيء ولده ضاويًا"<sup>(6)</sup>، بمعنى ضعيف وهزيل.

### اصطلاحاً: في الفكر الغربي

تعدّ لفظة (Alienatio) الأصل اللاتيني للاغتراب، وهي مستمدة من فعل (Alienate) أي تحويل شيء ما لمكية شخص آخر، أو الانتزاع والإزالة، على أن الأخير مشتق من فعل (Alienus) بمعنى الآخر<sup>(7)</sup>. وعلى الرغم من تعدد دلالات مصطلح الاغتراب سواء في الفرنسية (Alienation) والألمانية (Entfremdung) إلا أن الأصل اللاتيني لمصطلح الاغتراب مشتق من الفعل (Alienare) المشتق من (Alienus): غير منتمي أو غير متطابق مع الآخرين. إلا أن المصطلح اتسع في الدلالة ليشمل معنى انتقال الملكية، والتصدع الذهني، والاضطراب داخل الشخصية.<sup>(8)</sup>

الاغتراب قد يكون طوعياً عن إرادة وقصد، وقد يكون قسرياً تحت تأثير سلطة خارجية وهو الشائع من معاني الاغتراب، ولعل قول ماركيز يؤكد ذلك في رسده للاغتراب بأنه وصف لحال الإنسان الواقع تحت هيمنة سلطة ما تسلبه ذاته وماهيته وإمكانياته، وتدفعه إلى واقع مغاير تماماً. واختُلف حول طبيعة هذه السلطة، القوة المؤدية إلى اغتراب الإنسان، هل هي لاهوتية أم رأسمالية، أم جنسية، أم سياسية أم اقتصادية<sup>(9)</sup>. ويبدو أن الكلمة اللاتينية ومشتقاتها، استخدمت في اللغة الفرنسية والانجليزية للدلالة على معان عدة: <sup>(10)</sup>

المعنى القانوني: يشير إلى تحويل ملكية شيء ما إلى شخص آخر

الاجتماعي: التعبير عن الإحساس الذاتي بالغربة والانسلاخ سواء عن الذات أو الآخرين

السيكولوجي: حالة فقدان الوعي، والعجز، أو فقدان القوى العقلية أو الحواس.

إلا أن شاخت يرى أن انفصال الفرد بأي شكل من الأشكال عن أي مجال من مجالات المجتمع يعد الاستخدام الأكثر شيوعاً لمفهوم الاغتراب<sup>(11)</sup>.

من جهة أخرى، عرفت الموسوعة الفلسفية (الاغتراب) اصطلاحياً بأنه: (عدم التوافق بين الماهية والوجود، فالاغتراب نقص وتشويه عن الوضع الصحيح)<sup>(12)</sup>. كما يعرف بأنه انفصال الإنسان عن القيم السائدة لعدم امتلاكه زمام ذاته؛ فهو حالة من الشعور بالضعف وسيطرة الآخرين عليه؛ مما يؤدي إلى صراع الإنسان مع نفسه من أجل تجاوز أخطائه وإسقاطاته<sup>(13)</sup>.

(1) -ابن منظور ، لسان العرب ( 32 / 1 ) باب غرب

(2) - الأزهرى ،، التهذيب (ج8/113)

(3) - ابن منظور ، لسان العرب ( 10 / 32 )

(4) - المصدر السابق ( 10 / 32 )

(5) - المصدر نفسه ( 10 / 32 )

(6) - المصدر نفسه ( 10 / 32 )

(7) - انظر الثنا ، الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية (ص19-20)

(8) - انظر المرجع السابق (ص21)

(9) - انظر عبدالسلام ، مفهوم الاغتراب عند هيربرت ماركيز (ص 22)

(10) - انظر بريشي ، الاغتراب : مفهوم ودلالات (ص 199)

(11) - انظر شاخت ، الاغتراب (ص 213 )

(12) - انظر زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية (مج 1 / 39 )

(13) - انظر جواد ، الاغتراب في النص المونودرامي العراقي (ص 65 )

### الاغتراب في علم الاجتماع :

اتخذ مصطلح الاغتراب بعداً جديداً مكملاً لما سبق في حقل العلوم الاجتماعية، على يدي ماركس، عندما رأى في الاغتراب عملية اجتماعية، وفي الوقت ذاته نفسية، تنتج من خلال المشاعر الكامنة للعزلة والعجز، إذ يرى شاخنت أن عبارة ( الانفصال من خلال التخلي) جوهر فكرة ماركس؛ فالعامل مغترب لأنه مفصول عن منتوجه، إلا أنه مجبر على التخلي عنه للآخرين، وبهذا يضيف ماركس بعداً جديداً من خلال ما يُسمى بنقص التحكم إضافة إلى الانفصال والتخلي.<sup>(1)</sup> ومن جهة أخرى، نجد ( فيبر ) يضيف بعداً جديداً للاغتراب وهو العجز (Powerlessness) من خلال تفسيراته المتعلقة بالبيروقراطية، وهذا العجز يخدم اتجاهين: أن الفرد يجد نفسه عاجزاً كلياً في علاقته بالمنظمة؛ فهو غير قادر على تغيير النظام ولا الخروج عنه، وثانياً: أن الجماعات عاجزة كذلك ضد آلة البيروقراطية، وبالتالي يعد فيبر القضاء على البيروقراطية ضرباً من المثالية. ويقدم كل من (Mannheim) و (Adorno) دلالة أخرى للاغتراب وهي اللامعنى (Meaninglessness) ؛ إذ لا يكون الفرد قادراً على الاختيار بين تفسيرات بديلة. في حين نجد ( دوركايم ) يعهد إلى تفسير للاغتراب يقوم على ظروف ( الأمونيا ) (اللامعيارية)، وهي النقص المدرك في الوسائل والمعايير المتفق عليها اجتماعياً في توجيهها الإنسان لتحقيق أهداف ثقافية محددة. ومن هنا يحدث عدم القدرة على التحكم في رغبات الإنسان بوسائل هذه القوة أو المعايير الاجتماعية، بسبب انفعالاته، مما يؤدي إلى عدم الضبط لرغبات (حالة الأمونيا)، وهنا يجد الفرد نفسه غير قادر على التوافق مع التغيرات الاجتماعية، وبالتالي يصبح مغترباً.<sup>(2)</sup>

ومن جهة أخرى نجد (السيد علي الشتا)، قد وضخ مجموعة من المصطلحات متعلقة بهذا النوع من الاغتراب، على النحو الآتي:<sup>(3)</sup> فقدان السيطرة (Control Losing) عدم شعور الفرد أن باستطاعته التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها، اللامعنى (Meaninglessness) شعور الفرد بأنه لا يملك مرشداً أو موجهاً لسلوكه واعتقاده، اللامعيارية (Normlessness) الخروج عن المعايير الضابطة، العزلة الاجتماعية (Social Isolation) : ناتجة عن إعطاء الفرد قيمة متدنية لأهداف ومعتقدات هي في الحقيقة قيم عالية في المجتمع، الاغتراب الذاتي (Self Estrangement): عدم القدرة على إيجاد المكافأة والقبول الاجتماعي.

### الاغتراب في علم النفس :

من الصعب تخصيص نوع مستقل يطلق عليه الاغتراب النفسي؛ وذلك لتداخل الجانب النفسي وارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الأخرى: الثقافي والاقتصادي والسياسي.. إلخ<sup>(4)</sup>، إلا أن هناك من رأى في الاغتراب النفسي علاقة بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعر من غربة في العالم، وفتور أو جفاء في علاقته بالآخرين<sup>(5)</sup>. ويشير خليفة إلى أن الباحثين رأوا في اغتراب الذات اضطراباً نفسياً يتمثل في اضطراب الشخصية العصابية، حيث الأخير يتسم بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين مع الآخرين.<sup>(6)</sup> واتسع المفهوم عند علماء النفس الاجتماعي - "ميلفان سيمان" Melvin Seeman - إذ حصره في الأبعاد التالية (العجز، فقدان المعايير، غياب المعاني، العزلة، الاغتراب الذاتي) في حين نجده عند "ديفيدز" "Davids" ينحصر في (التركيز على الذاتية، عدم الثقة، التشاؤم، القلق، الاستياء) وقد أدى هذا إلى مزيد من الغموض.<sup>(7)</sup>

(1) انظر المرجع السابق (ص 65)

(2) - انظر بريشي الاغتراب : مفهوم ودلالات (ص 203)

(3) - الشتا ، الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية (ص 206)

(4) - انظر خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب (ص 80)

(5) - انظر رجب ، الاغتراب سيرة مصطلح ، ص 35

(6) - انظر المرجع السابق (ص 81)

(7) - انظر بركات، الاغتراب في الثقافة العربي: مآهات الإنسان بين الحلم والواقع (ص 35)

. ويرى محمد عباس أن الاستخدامات المعاصرة لمصطلح الاغتراب تتفق على أنه: التباعد أو التناثر أو الانفصال عن شيء ما، وهذا الانفصال عادةً ما يكون انفصلاً عن الذات أو المجتمع.<sup>(1)</sup>

### الاغتراب في الشعر الأردني: الاغتراب المكاني أنموذجاً

#### أولاً : الموقف من المدينة

يبدو أن تطور المدينة في القرن العشرين بشكلٍ حادٍ صعبٍ معه تكيف النازحين إليها، لا سيما الشعراء؛ إذ لم تتجج الانتصارات العلمية في تحقيق الآمال المعلقة عليها، من خلق عالم أفضل يتكئ على العلوم وسيطرة الفلسفات المثالية، بل على العكس من ذلك؛ إذ صاحبت هذه الانتصارات العلمية صور مأسوية، من اغتيال لحرية الإنسان، واستغلال لموارد الشعوب المغلوبة على أمرها، وما أفرزته الانتصارات من حروبٍ دمرت أكثر مما أنجزت بكثير، فكان الإنسان ضحيتها، مما جعل شاعر القرن العشرين يتخذ موقفاً معادياً لها كما هو الحال لدى (ت. إس. إليوت) في قصيدته (الأرض الخراب) و (الرجال الجوف).<sup>(2)</sup> ومما لا شك فيه أن المدينة، بوصفها موضوعاً، هي فكرة معاصرة ترتبط بالقرن العشرين ومنجزاته؛ إذ أصبح هذا الشاعر ينطلق من مفهوم حضاري في تصورٍ جديدٍ للكون والمجتمع والإنسان.<sup>(3)</sup>

من جهة أخرى، اختلف الدراسون حول موضوع المدينة في الشعر العربي المعاصر؛ ففرقوا بين المدينة الغربية ومثلتها العربية، كما فرقوا بين شعر المدينتين؛ فهجاء المدينة عالمياً نبع من ثورة صناعية انتزعت إنسانية الإنسان؛ فما رؤية (بودلير) أو (أودين) للمدينة سوى صدى لتلك التشوهات الحضارية. ومن هنا انقسم الدراسون بين من يرى في الشعر العربي المعاصر تقليداً، وينفي عنه هذه الصفة؛ باعتبار أن ضيق الشاعر الغربي بحضارته ومدينته، لا يختلف كثيراً عن ضيق العربي بمدينته؛ مما جعل الشاعر العربي النازح من الريف، لا يأتلف بسهولة مع مدينته المعاصرة، بحكم أن ثمة تراث إنسانيّ وحضاري مشترك.<sup>(4)</sup> إلا أن المدينة بوصفها ظاهرة مكانية خاضعة للتطور الزمني وذات وظائف حياتية..، ركز عليها الأدب المعاصر وشحنها برموزٍ وأبعاد ودلالاتٍ مختلفة؛ لتصبح ذات دلالات فكرية معقدة نسبياً.<sup>(5)</sup>

ويشير عز الدين إسماعيل إلى أن الاهتمام بموضوع المدينة، يعود إلى تأثر الشعراء العرب بالثقافة الغربية، وخاصة قصيدة الخراب لـ (إليوت)؛ إذ تمثل دعوة للعودة إلى القرية حيث الصفاء والجمال، والابتعاد عن المدينة لما يشيع فيها من نقمة على وجه الحضارة الحديثة، وما أحدثته من تمزقٍ للنفس الإنسانية والعلاقات الإنسانية التي تربط بين الناس.<sup>(6)</sup> ويبدو أن اطلاع الشعراء العرب على التجربة الغربية اتجاه المدينة، أثرت تجربتهم الشعرية، بما أنتجوه من مواقف وصور وأخيلة، جعلت من بعض التجارب محط نظر الدارسين كما نجد عند السياب، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم.

والمعروف أن المدينة " قد أسست عند شعب اليونان من أجل راحته وسعادته؛ فقد كانت عندهم منبراً للفكر والحق والحرية والجمال، غير أنها افتقدت كل هذه المثل مع بداية العصر الحديث"<sup>(7)</sup>. ويبدو أن المدينة المعاصرة " لم تستطع أن تصح مسارها، لتعود وتتمسك بوظيفتها، فبعدها كان الصراع متقشياً في الطبيعة، أصبح الآن منتشراً في المدن، حيث أصبحت المدينة تمتص العنف بجميع تجلياته المنتشرة في الطبيعة الشاسعة بأريافها وقرائها ليحدث العكس تقريبا. البادية تنعم بالاستقرار والهدوء، في مقابل

(1) - انظر يوسف، الاغتراب والإبداع الفني (ص38)

(2) - انظر أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر (ص 5-6)

(3) - انظر المرجع السابق (ص 8)

(4) - انظر أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر (ص 8-9)

(5) - انظر عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر - دراسة في اشكالية التلقي الجمالي للمكان (ص20)

(6) - انظر إسماعيل، الشعر العربي المعاصر - قضاياها وظواهره ال فنية والمعنوية (ص 326)

(7) - بن ناجي محمد، الاغتراب .. الشاعر .. المدينة (ص 163)

المدينة التي تتخبط في الجريمة والعنف والتشرد".<sup>(1)</sup> يفهم من هذا القول أنّ الإنسان -في البداية- هرب من الطبيعة وقسوتها ، فوجد في المدينة مكاناً وملاذاً، غير أن هذا الاحساس تبدّد شيئاً فشيئاً؛ عندما بدأت تتكشف هذه المدينة على حقيقتها. ومن هنا كان إحساس الشاعر بالغربة داخل المدينة أمراً طبيعياً، حيث أكسبت هذه المدينة موقفاً جديداً لشاعر العصر، فوجدها لا تخلو من كونها أزمة انحلال الأخلاق، وموطناً للصراع الحضاري والتعفن الاجتماعي، وهذا ما نلمحه بوضوح في قصيدة (الأرض الخراب) بعد الحرب العالمية الأولى، إذ مثلت المدينة صورة خواء الإنسان من كلّ القيم، كما ولدت المدينة لدى بودلير في ديوانه أزهار الشر (les fleurs du mal) إحساساً عنيفاً بالغربة والوحدة.<sup>(2)</sup> وبالتالي يرى محمد راضي جعفر أنّ الدارسين من الفلاسفة والمفكرين تعقّبوا ظاهرة الاغتراب بعد نشوء المجتمع الصناعي، وقيام الحربين، وما رافقها من مآسي وويلات، حتى أصبح يُقال أنّ في كلّ إنسانٍ مغترباً.<sup>(3)</sup>

ومن هنا لم يكن هذا بعيداً عن المثقف العربي ومدى تأثره بهذه الظاهرة، "إذ عانى الإنسان العربي بعامه، والمثقف العربي خاصة، من اغتراباتٍ شتى، واتسمت ردود فعله بأشكال تراوحت بين الانسحاب من الواقع إلى هامش الحياة أو الرضوخ للنظام القائم والاندماج في مؤسساته أو التمرد الفردي والثوري الجماعي أو الهجرة إلى الخارج للبحث عن فرص أفضل"<sup>(4)</sup>. ولا شك أنّ الإنسان العربي عانى منذ بداية القرن العشرين مجموعة من المثبطات السياسية، من استعمار، وانتداب، وحروب، وقوى ظلامية، ألقت بظلالها حتى الوقت الحاضر على المشهد العربي في جميع المجالات؛ ممّا جعل الذات العربية مأزومة مضطربة إزاء هذا الوجود.

ويشير الباحث أنّ لفظة المدينة، قد تأتي عامة دون ذكر اسمها، وهنا تكون أقرب إلى فلسفة رؤية المدينة بشكل عام، ضمن رؤية إنسانية حضارية، وقد تكون بذكرٍ خاص ، وبالتالي نجد " أنّ بعض الشعراء لم يتعرضوا بالاسم لمدن بعينها، إنما وقفوا عند كلمة (مدينة)، وقد يكون وراء ظاهرة التخفي هذه الرغبة في بثّ النقد، والعتب على المدينة حين تتجهّم أو حين ينكسر هو أمامها أو لأن الشاعر يحب الانتماء إلى الغربة حين يرى أن المدينة ظالمة وتافهة"<sup>(5)</sup>. ومن جهة أخرى، فإنّ الموقف من المدينة في الشعر الحديث غالباً بدا معادياً رافضاً لها، سواء بوصفها فضاءً حضارياً جديداً مغايراً للمكان الأليف أو الطبيعي أو الريفي، أو بوصفها فضاء للمظاهر الاجتماعية الزائفة . لذلك نجد كثيراً من مظاهر الوحدة والعزلة، والقلق والخوف، وعدم الألفة والإنسجام قد يصل إلى يمكن أن نسميه العجز عن التواصل، وهو شعور عام لدى شعراء المدينة العرب"<sup>(6)</sup>. وغالباً ما تكون هذه المظاهر ناتجة عن صراع بين القيم: بين الذات والمجموع ، بين التنافس الحاد والمحبة الأخوية.<sup>(7)</sup> ولا بدّ من الإشارة أن موقف الشاعر من المدينة تخلله رؤيتان: الأولى قبول المدينة، والثاني النفور منها، وما يهمننا في هذه الدراسة المنحى الآخر، الذي يقربنا من فهم ظاهرة الاغتراب المتمثلة في الموقف من المدينة. إنّ هذه الثنائية المكانية (المدينة/ الريف) غدت لدى الشاعر ثنائية زمنية (حاضر/ ماضٍ)، لذا فإنّ الذات الشاعرة " تتوزع بين موقعين مكانيين، ونوعين زمنيين، مكان القرية المنشود بزمنه الماضي، ومكان المدينة المرفوض بزمنه الحاضر، ومن شأن هذا التّوزع أن يولّد تخلّلاً في وتيرة الزمن وعدم انتظام في إيقاعه ، مما يسبب للذات الشاعرة قلقاً ووحشة ، وتمزقاً وضياعا "<sup>(8)</sup> .

ويمكن القول إنّ أكثر ما يربط الشاعر بالمكان الذي يعيش فيه أو ينتمي إليه هو درجة طبيعة العلاقة بينه وبين هذا المكان، فقد يتحول المكان إلى مكانٍ معادٍ "إذ يسمى المكان المعادي بالمكان المضاد أيضاً؛ لأنه يشكل نمطاً مغايراً ومضاداً للمكان الأليف

(1) - بخضرة ، تاريخ - الوعي مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع ص (43-44)

(2) - انظر بن ناجي محمد ، الاغتراب .. الشاعر .. المدينة ( ص 163)

(3) - انظر جعفر ، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ( ص 62)

(4) - انظر جعفر، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر ( ص 7)

(5) - إسماعيل ، قضايا الشعر العربي المعاصر (ص 333)

(6) - أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ( ص 20 )

(7) - انظر عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر (ص 91)

(8) - انظر عفاق ، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر (ص 141 )

وربما كان ارتباط الذات بالمكان الأليف نتيجة لوجود المكان المضاد الذي يهدد بزوال ذلك المكان الأليف<sup>(1)</sup>، ومن هنا تبرز المدينة بوصفها فضاءً مغايراً ومكاناً صَدًا معادياً في تصور الشاعر .

ولما كان الشعر الأردني جزءاً لا يتجزأ من الشعر العربي، والذي بدوره لا يتجزأ من حركة الشعر العام بحكم الثقافة الإنسانية المشتركة، فقد تجلّى صدق ظاهرة الاغتراب في الشعر الأردني، وخاصة الاغتراب المكاني المتمثل بالموقف من المدينة. وينوه الباحث إلى أنّ الموقف من المدينة في الشعر الأردني جاء وفق حالات: منها بوصفها فضاءً حضارياً جديداً يتسم بالضيق والاحتكاك والمظاهر والسلوكيات المنفرة، كما جاء مترافقة مع صورة القرية حيث الصفاء والجمال، أو مع المكان الأليف، أو فضاء يحدّ من الآمال والطموح والتطلعات والأحلام وقد يقتلها، أو نتيجة الضجر والسأم وغيرها. كما جاء الموقف من المدينة في بعض الأحيان مرتبطاً بصورة المرأة.

من جهة أخرى ، يلح الدارس في تراثنا العربي إشارة لهذا الضيق بالمدينة، من خلال رؤية ميسون الكلبية لها في قصيدتها المشهورة، ومطلعها: (2)

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر مُنيف

فالقصيد تشي بمدى وعي ميسون الكلبية بزيف الحياة في المدينة، ممّا جعلها تضيق بها، شاعرةً بالغبية، كارهةً لكلّ ملذات الحياة هناك. فهي تعبر عن مدى الانتماء للمكان الأول حيث العفوية والبساطة والراحة، إذ نجدها " أقرب إلى الروح الرومانسي في موقف الشاعر المعاصر من المدينة " (3). وبالتالي يقترب موقف هؤلاء الشعراء من الشعراء الرومانسيين إزاء المدينة؛ إذ كان موقفاً هارياً، تجلّى برسمهم صورةً معادية للمدينة؛ إذ ظهرت في أشعارهم ذلك المكان المليء بالضجيج وقسوة الواقع وفجاعته، وبدا عالم المدينة ذلك العالم الذي تحطمت على صخرة قوانينه وأعرافه طموحاتهم المثالية، لذلك آثروا حياة القرى والريف، بما فيها من براءة وفطرة ، وبما تمثله من حرية وبساطة وانطلاق. (4)

وإذا ما تحصنا الشعر الأردني نجد المدينة عند عرار (مصطفى وهبي التل) مكاناً/ فضاءً لممارسة النفاق والرياء والكذب والزيف، والاستعلاء، والإذلال، والفقر والجوع، والظلم، إنها مزيفة:

دع المدينة، لا يخدعك باطلها فزيفها بين من غير منظار (5)

والمتمحصر لشعر عرار يجد نقمة كبيرة على المدينة؛ بسبب هذه الممارسات، وما تعدده لمناقب المجتمع النوري في شعره، سوى صدق للمدينة الفاضلة التي كان ينشدها، يقول (6):

بين الخرابيش لا عبء ولا أمة ولا أرقاء في أزياء أحرار

ولا جناة ولا أرض يضرّجها دمّ زكيّ ، ولا أخذ بالثأر

ويقول: (7)

بين الخرابيش لا حرص ولا طمع ولا احتراب على فلس ودينار

بين الخرابيش لا مال ولا نسب ولا احتراب على حرص وإيثار

ولا هيام بالقب و أوسمة ولا ارتفاع ولا خفض بأقدار

الكلّ " زطّ " مساواة محقّقة تنفي الفوارق بين الجار والجار

(1) - النصير ، إشكالية المكان في النص الأدبي ، دراسات نقدية في القصة والشعر ( ص 27 )

(2) -البغدادي، خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب ( ج 8 / 504 )

(3) - مختار ، المدينة في الشعر العربي المعاصر (ص 109)

(4) - انظر الورقي ، الموقف من المدينة في الشعر العربي المعاصر ( ص 18 )

(5) - عرار ، عشيات وادي اليابس ( ص 243 ) وردت في الديوان ( بخدعك ) ويبدو الصواب ( يخدعك )

(6) - المصدر السابق ( ص 237-238 )

(7) - المصدر نفسه ( 238 ) ، ( زطّ ) من الأسماء التي تطلق على الغجر ، انظر الحاشية 283

فعرار وإن لم يذكر المدينة صراحة إلا أنّ قراءة النَّصِّ الشعري تحيل إلى المكان الضدّ (المدينة). ويقول في القصيدة ذاتها: (1)

بين الخرابيش لا كذبٌ ولا ملقٌ      ولا وشاةٌ و لا رواد أخبارٍ  
ولا جواسيسُ ، أتى سرثٌ ، لاحقني      أوغادهم خلسةً يقفون آثاري

فمعظم المظاهر التي يذكرها الشاعر ، غالباً ما تكون في مجتمع مدني، حيث العبودية في العمل، والإقصاء والتهميش، والتنافس على المال، والوشاة والمخبرين، وتباين الفوارق الطبقيّة، ببساطة إنه المجتمع المدني المادي الجديد، وكأنّ عرار لا يرى هذه الممارسات وهذه الظواهر إلا في المدينة.

ويبدو أنّ عراراً قد وضع مدينة عمان مقابل مضارب النور، متهما الأول بالمكان المزور أو المدينة غير الفاضلة، ومُعلِّياً من قيمة مضارب النور مدينته الفاضلة؛ فالأخرى مدينة النخبة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وطابعها الاستغلال والتسلط والكذب والنفاق، أمّا المدينة الفاضلة فهي خرابيش النور حيث العلاقات الإنسانية المتكافئة مادياً وروحياً (2). وتتضح هذه الرؤية في قوله: (3)

"عمانُ" يا بابلُ يا قريةً      قد كفر الدهرُ فصرتِ بلدُ  
إني أرى فيكِ على ما أرى      من كثرةِ الإصلاحِ، روحاً فسُدُ

...

بالأمسِ ما كنتِ التي تُرتجى      للأمرِ، هل نرجوكِ للأمرِ غدُ؟

...

وأنتِ يا "عمانُ" لا رأيَ في      أهليكِ إن لم يرهُ "المُعتمدُ"  
قد كثرتُ ضوضاءُ من فيكِ في      أشياء أباها ذهابُ الرَبْدِ  
وفيكَ غوغاءٌ رأوا نفسهم      فوق الثرىا وهُم في الرُردِ

ويبدو أنّ الشاعر كان يعاني في ذلك الوقت، فترة الانتداب، من تردي جميع الأوضاع في عمان، حتى نجده يخطابها بهذه الحدة ، فقد خيّبت رجاءه وأمله، وتحطمت أحلامه في الإصلاح. ولا نبالغ إذ قلنا إنّ عراراً، في تلك الفترة، كان يتمثل رؤية السياب إزاء مدينته، إذ يعدّ من بين الشعراء الذين نعموا على المدينة " حيث كانت المدينة تبدو كئيبة ، قبيحة الوجه أمام الشاعر، ترسف في أغلال العبودية وتمارس مع أهلها الظلم والاستعباد " (4).

والمدينة عند عبد الرحيم عمر تظهر بوصفها مكاناً مغايراً؛ فبدلاً من أن تكون مكتظة ذات حركة تنسيه الأمل، أنيسة بوجود صحبه، نجدها تغرق في الظلام خاليةً موحشةً مقفرة من الرفاق، فيعاني الوحدة والاستسلام للأحزان، يقول: (5)

مضى الرفاقُ كلهم / وهاهي المدينة/ قد لبست قيودها، واستسلمت لليل والسكينة / وعزّ أن تُفريق/ وعزّ يا حزين أن تنام / تعيش  
نفس القصة الحزينة/ يموتُ يومك الطويل دائماً بلا جديد/ .. مضى الرفاقُ كلهم ، وهذه الطريق/ موحشةً تجترها السكينة/ كأنها  
ما ضمت النهار، ما تمايلت / لرقصة الساعين في المدينة.

لقد عبّر كثير من الشعراء عن رؤيتهم للمدينة القائمة على الضجر والسأم والحزن، وهو موقف مستمد من رؤية الشعراء الرومانسيين، فنجد تيسير السبول يعبر عن بشاعة هذا الموقف من خلال تصويره للمدينة قد لفها الحزن؛ ويبدو أنّ هذا الحزن ناتج عن هذا الجمود، والصمت بين ساكنيها؛ وكأنّها وجهاً آخر للموت؛ مما جعله يشعر بالضجر والسأم ينهش في ذاته، يقول (6):

(1) - المصدر نفسه (239)

(2) - انظر المصلح ،الهم الإنساني في الشعر العربي في الأردن: مصطفى وهبي التل (عرار) نموذجا (ص 66)

(3) - عرار ، عشيات وادي اليباس ( ص 201- 202)

(4) - إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ( ص 147 )

(5) - عمر ( عبد الرحيم ) الأعمال الشعرية الكاملة ( ص 49 )

(6) - الشبول ، الأعمال الكاملة( ص 120)

صديقتي / كلّ العيون هاهنا حزينه / فالحزن قد غزا المدينة/ جنوده الأقزام قد تسلّقوا البيوت / وحطّ في آفاقنا سكوت / تشي  
الوجوه هاهنا / بأننا نموت/ لا تشفقي - صديقتي / يقاتنا السأم/ برقةٍ ودونما ألم .

ويعبّر حيدر محمود عن حالة التشنّت والضياع والجوع والخوف بسبب المدينة، وقد عبّر عن ذلك من بداية القصيدة، فكثرة الأبواب تشي بالتشنّت والضياع، يقول (1):

للمدينة .. / سبعون بابا .. / ولي .. كبدٌ واحدةٌ !/ أتعبتها السجاير، / والبحث عن لون عينيّ، / والجوعُ ... / والخوف .. / والأعينُ  
الحاقدةُ !.

بل نجد الشاعر يقف منها موقف الخصومة، قد يصل إلى درجة النقمة عليها، فقد جاءت صورة المدينة مرتبطة بصورة المرأة التي تبدو متكررة لأبنائها، متخليّة عنهم؛ مما جعل الشاعر يصف نفسه بالطفل الذي شردّ وجاع أمام عينها، بل نجد هذه المرأة / المدينة، تنبذ الشاعر وتكرهه، وقد أسلمت نفسها للطغاة الفاسدين، الذي سلبوها كل شيء، فيصفها بالجاددة المتحيزة، يقول: (2)

كنتُ طفلاً، / أرقُّ من الصُّبح، / (حين أتيت إليها) / وأنقى من القمح .. / لكنها .. كرهتني / وخافت على ثديها، من فمي / فشربتُ  
دمي / والتفتفتُ ، لكي أتقي ثلجها، .... / لكنها - رغم حبي لها ، / وهيامي بها / نبذتني .. / وأعطت مفاتيح أبوابها / الموصدات .. /  
لمن عذبوها .. / ومن صلبوها .. / ومن أكلوها .. / فيا امرأة لا تُمَيِّزُ، / يا امرأة .. تتحيزُ، / يا امرأة .. جاحدة .

يتضح مما سبق أن الشاعر لا يذكر اسم المدينة هنا، ولعلّه يريد أن يوحي بفكرة المدينة نفسها، بوصفها مكاناً معادياً يسلب الإنسان أحلامه، ويتنكر له ويجرده، وخاصة أنّ الشعراء قصدوا المدينة للبحث عن الأمن والطمأنينة وتحقيق الأحلام والتطلعات. ومن هنا يلجأ الشاعر إلى الجمع بين المدينة والمرأة بصفة الأنوثة ، فما أفسى أن تجرد المرأة الرجل الذي جاء يبحث عن دفء الحياة بين يديها!

ولا بدّ من الإشارة إلى أن تجربة حيدر محمود مع المدينة وخاصة عمان، تترواح بين القبول والرفض، والنفي والانتظار، وقد جعل الشاعر ذلك الشعور يمتد بلطف بين ثنايا شعره ؛ فهو بقي يفتش عن عمان منذ زمن حتى وجدها؛ فوجودها يخلصه من الضياع والتشرد والتيه، يقول: (3)

أنا قبل عينيك ، / كنت شراعا ، مضاعا / يجذّف في التيه، / يقطع حباته ، حبةً ، حبة / وذراعاً ذراعاً / ويبجر عبر الفيافي /  
يفتشك عنك .

ويصطدم حبيب الزيودي بالمدينة، فهي فضاء شديد الظلام يغتال كل مافي نفس الشاعر من براءة وصفاء وأحلام، ويبدو أنّ هذا الظلام يتصل بالجانبين المادي والمعنوي، متصل بالمكان الموحش وغير الأنيس، وبوجود الإنسان هناك؛ الذي وصفه باللص مرة، والخيانة مرة أخرى، بل نجد النساء يصبن بالتجمد وكأنه لا مكان للحب هناك، ولا أحد يهتم لأمر الشاعر. ومن هنا نجد جميع متعلقات المكان المدني تقف ضد الشاعر؛ لذا يشعر بالتيه والضياع والاغتراب، متمنيا العودة لقرينته معبرا عن شدة هذه الرغبة بالظماً الشديد. وبالتالي يمكن القول إنّ المدينة شكلت للشاعر "خيبة أمل انعكست في شعره هما وحزنا وقلقا متناميا؛ فالظلام الدامس والحاك أصبح هو المسيطر على نفسية الزيودي" (4)، يقول (5):

ظلام المدينة يغتال كلّ عسافير روعي وكلّ النوافذ مغلقةً ، / والظلام يفحّ / فيفتح للعابئين جروحي / ومثل أنين الجريح الذي  
حاطه الجندُ / كانت مصابيحها خافتهُ / تلوح لي من بعيدٍ / فأدخلها عاشقاً / فتجمدُ قلبي النساءُ / وأدخلها فاتحا / فيسرق

(1) - محمود (حيدر) الأعمال الشعرية (ص 124)

(2) - المصدر السابق (ص 126-127)

(3) - المصدر نفسه (ص 318)

(4) - الدروع ، قاسم ، قراءة نقدية في تجربة حبيب الزيودي الشعرية (ص 83)

(5) - الزيودي ناي الراعي (ص 11-12)

سيفي اللصوص / ويخذلني الجبناء / وأدخلها شاعراً / فتبعثر شعري شوارعها الصامتة / ولا شيء يُفرح / فالتيه يمضغ دربي /  
ويقتلني ظمأي .. / وكان قطيعاً من الماعز الجبلي بجوفي / فلا ماء، / لا عشب، / ولا أغنيات.

ومن هنا تبرز ثنائية (المدينة / القرية )، من خلال هذا التناقض الشديد بين فضاء المدينة الموحش الذي ينذر بالموت؛ فلا ماء ولا عشب ولا أغنيات، وفضاء القرية المكان الأنيس الذي يفنقه . وبالتالي نفهم جيداً رؤية الشاعر إزاء المدينة بوصفها فضاء ضدا لفضاء القرية ، زمانياً ومكانياً، إذ " يظهر الزيودي رفضه للزمن الحديث، ما تبلور في سياقه من القيم المادية والنفعية ، فتعاطم لديه رغبة في تمجيد الحياة البسيطة والعودة إلى المكان والاندماج به"<sup>(1)</sup>.

وتمثل المدينة لدى الشاعر مكاناً يضيق به، تائها فيه، غير منسجم معه، بسبب غياب المرأة المحبوبة، والمتفحص للنص الشعري يستشف أن هذه المحبوبة كأنها قريته، معشوقته التي افتقدها كثيراً. ويبدو أن حضور المرأة (القرية) في المكان (المدينة) جعل الشاعر يتصالح معه، وكأن حضورها شكلاً توازناً نفسياً مقابل وحشة المدينة، فتبدو المدينة حيّة نابضة بالأمل، ولكن بغياب المرأة تزول هذه الحياة ، وقد جاء بداية المقطع الشعري ليعبر عن هذه الرؤية، فبغيب المحبوبة لا مطر، ولا عسافير، و لا قمر في المدينة، وكأنها أي المرأة / القرية تمدّه بالحياة، يقول: (2)

منذ افترقنا لم ترقق العسافير على الشجر / لم يهطل المطر / وافتقدت شوارع المساء لونها / ولم تغسل الشبابيك أشعة القمر  
/ بحثت عنك في دروب المدينة / سألت عنك الليل والأضواء والصور / فلم أجد أثر / فعدت عاري الخطي أنزف في الشوارع /  
جمدني صقيعها وقلبها الحجر .

ومن هنا فالشاعر يحاول أن لا يفقد المرأة من خلال رحلة البحث عنها ؛ فهي تشكل له الخلاص من عدمية المكان؛ فبغيبها تتكشف المدينة على حقيقتها ( جمدني صقيعها ، وقلبها الحجر ) ، فيغدو وحيداً يجوب الشوارع . ومن هنا يتضح أن الشاعر يعاني من الوحدة والضياح والتشتت، كما يعاني من صعوبة التكيف مع هذه المدينة؛ إذ نجد ذات الشاعر متشظية بين قطبين؛ المرأة المحبوبة ( القرية ) التي تشكل الحلم والحياة ، والمدينة التي تشكل الضياح والهلاك . ولذلك نجد هذه الرؤية تتكرر في قصيدة ( رحيل ) (3):  
إلى أين أرحل / كيف أغانر أغصان أجمل صفصافة / قاسمتني رحيق الشتاء وحزن الأماسي . / تضيق الدروب علي ،  
وتجدني / لا النوافذ تفهمني / لا الستائر تفتح لي قلبها / لا الدروب دروبي / ولا الناس ناسي / وأنتِ ... / تظلين أقرب للقلب  
من نبضه / ولولاك يذبل فلي وآسي / وتخبو شموعي .. / ويسرق بوم الليالي نعاسي .

فالشاعر يعاني الضياح والتهيه في المدينة ؛ فلا يجد من يواسيه، أو يحتضنه؛ ببساطة لأنه في غير مكانه الحقيقي؛ الذي شكل له الاحتضان والدفع . ومن هنا يحاول الزيودي أن يبقي استحضاره لقريته ( العالوك ) ماثلاً دائماً وهو ما يمكن تسميته توازناً نفسياً ، قد يقصد إليه الشاعر بوعي أو بدون وعي وفقاً للتجربة الشعرية .

وعلى الرغم من ظهور المدينة في شعر الزيودي بوصفها أمّا تتكر أبناءها ، أو حبيبة تصدّ عن حبيبها ، لتغدو رمزا للظلم والقطيعة، إلا أنه يبقى يحبها ويعشقها ، وهنا ينوه الباحث أن موقف الزيودي من المدينة بدا غير متصالح وخاصة في ديوانه الشيخ يحلم بالمطر ، كما أشار خالد الكركي، ف" لوعة الحزن والحنين التي تسري في شعره تعود إلى تجربة الانتقال من أجواء القرية الوداعة العالوك إلى أجواء المدينة " (4) . إلا أنه رغم ذلك نجده يعلن عن لملمته لأحزانه القديمة في سبيل محبة (عمان) لتغدو محبوبته التي لا ينفصل عنها عنها، يقول: (5)

(1) - المساعفة ، صورة الوطن في شعر حبيب الزيودي (ص 37)

(2) - الزيودي ، ناي الراعي ، 184

(3) - المصدر السابق (ص 182-183)

(4) - انظر مقدمة ديوان الشيخ يحلم بالمطر ( ص 11)

(5) - الزيودي ، ناي الراعي ( ص 15-16)

لملمتُ أحزاني عن الدرب القديم / وتبرعتُ عمانُ في قلبي قرنفة / فيا الأرض التي أحببْتُها / إنني أحبك في سكون الليل / في همس النسائم / في انتعاش الزعفران / أحتلُّ نصف الأرض حين أُلْفُ زندي حول خصرك / ثم يسقط نصفُها الثاني على شفتي بعد القبلة الأولى .

ويمزج الشاعر خالد محادين بين المرأة والمدينة، باحثاً عن يخلصه من وحدته وعزله، من تبتت فيه الحياة من جديد، إلا أن هذه المدينة تصبح خاويةً من العلاقات الإنسانية الدافئة بفقدان هذه المرأة، يقول: (1)

يا سيدي ، يأبها الجرحُ المسافر بين قلبي / والمدينةُ / من أين تأتي في الزمان الصعب امرأةُ / تقاسمكُ السكنيةُ؟! / فتصيرُ واحتك الوديعة في صحارى العمر / نجمتكُ المضيئةُ في ليالي القهر / فرحتك الحزينةُ / من أين تأتي والمدينة أدمنت وجعي / وأدمنها التثاؤب والجليدُ؟ / وتطل امرأةُ تمدُّ إلي دفءَ العشق / تشعل في دمي دمها / وتعيد بعني من جديد .

لكن سرعان ما تتغير ملامح هذه المحبوبة، ويبدو أن علاقة الشاعر بالمدينة تتبع من علاقة هذه المرأة، التي هي في حقيقتها انعكاساً لصورة مدينة الشاعر (عمان)؛ إذا بدا تتغير ملامح هذه المحبوبة الرائقة والبسيطة والجميلة إلى غير ما يألّفه الشاعر، فعدت تكتسب الصفات المادية الحسية غير المحببة، وهي نقيض ما كانت عليه؛ إذ نجدها ( تتورم شحماً وخواء): (2)

ودعتكُ كانت عمانُ تنام على أرقٍ / وتسيل على ورقٍ / تتجمّعُ اسمنتا ، ورملاً وحديداً ، / تتورم شحماً وخواءً / ودعتكُ ، كان الجبل الأولُ ينزف في الجبل الثاني / والجبل الثالث في الرابع / والخامس في السادس / والسابع في الصحراء / ودعتكُ يا وجهها أثريا يُومضُ في هذي الظلماء / ينشق هوىً ويصيرُ مدىً / هذا وجهكُ .... وجهٌ آخر مختلفٌ / هذا صوتكُ ... صوت آخر مختلف / هذي لغة هجرتها الأفواه زمانا / فبأي الكلمات أقول لعينيكِ وداعاً/ فاحتفلي مني بالصمت .

إذن لم يعد يألّف الشاعرُ وجه محبوبته (مدينته) فقد تغير، وكذلك صوتها، فقاد هذا التحول الشاعرَ إلى النفور منها؛ فلم تعد كما كانت في وجدانه صافيةً رقيقةً وجميلة .

وتضيق المدينة على الشاعر حتى تصبح كالغرفة السوداء الموحشة، تلقي في روحه الإحساسَ بالخوف وبالقلق وبالضياع. إلا أن وجود المحبوبة يخفف من أزمته؛ فيحاول البحث عن طيفها، أو استحضاره بهذه الصورة الرقيقة؛ ليخلق نوعاً من التوازن النفسي في هذا الفضاء المدني الموحش: (3)

من أين يأتي وجهك المسكونُ / بالذعر الطفولي الرقيق / يدقُ نافذتي ويهرب في اتجاه السرِّ / يوغل في المسافات التي حملت إليّ الدفاء / يوقظني من الوجع العتيقُ / من أين يأتي / والمدينة غرفةً سوداءً موحشةً / أحاذرُ أن تضيق .

وتسلب المدينة الشاعرَ جميع مظاهر السعادة؛ لأنها تقتل الأمان وتبدد الأحلام؛ إنها زائفة غارقة في النفاق وإقصاء الآخر. فليجأ الشاعر إلى المزج بين المرأة والمدينة بوصفها الخلاص من فضائها المزيف، فيتمنى منها أن تمدّه بالضوء والدفاء والحياة، يقول: (4)

لمريم كلُّ الذي انتهى أن يكون / فكوني لما ظلّ مني / عباءةً روعي / ومري بما تملكين من الدفاء / فوق جروحي / هنا آخر الدرب / مدي إليّ بحبة ضوءٍ / لتشتعل الأرضُ / مدي يديكُ / لتشتعل الروحُ / مدي قصائدكُ النازفةُ / فهذي المدينةُ / سادرةً في اغتيال العصافيرِ / موعلة في اغتيال المواويلِ / تُدمنُ أشعارها الزائفةً.

ومن جهة أخرى، تظهر المدينة عند عبد الرحيم عمر أشبه بغاية من الأسمنت، دلالة الكثافة والجمود، لا روح فيها عقيمة، بل تغرق بالحرز والفقر والظلام، فيغدو غريباً قلقاً أمام هذا الفضاء المادي الموحش: (5)

(1) - محادين، الأعمال الشعرية (ص 364 - 365)

(2) - المصدر السابق (ص 365)

(3) - المصدر نفسه (ص 355-356)

(4) - محادين، الأعمال الشعرية (ص 373)

(5) - عمر (عبد الرحيم) الأعمال الشعرية (ص 145)

يا صاحب الوجه الغريب ! / عاد الشتاء / ولم يعد معه الرجاء / مطرٌ يهددُ غابةَ الأسمنتِ / والطرقات تُشرقُ بالظَّماءِ / ومدينة الغرباء تغرق في الدموع وفي النحيب .

ويشعر الشاعر بذاته الغريبة بين أركان المدينة؛ فالناس كالتماثيل، جامدة، بلا حسٍّ؛ فيفقد قدرة التواصل معهم، فتمسي مكانا غير أنيس، يستشعر فيه التية والاغتراب، كحال نبي يدعو قومه بلا فائدة، يقول: (1)

وإذا بي بين أسوار المدينة / كلُّ ما فيها غريب وعجيب / ناسها بعض التماثيل، بلا حسٍّ ولا رجح إرادة/ كنت فيها كنبِي راحٍ وسطِ التيه يدعو للعباده

ويعرّي الشاعرُ إبراهيم نصر الله المدينة على حقيقتها، واضعاً أمام من يحلم بهذه المدينة حقيقة وجوده الفعلي، فمن يحلم بالانطلاق والحرية والعمل، يجد نفسه قابلاً في ظلمة المصانع راكضاً خلف لقمة العيش، ومن يحلم بجمال المدينة ودفئها يجد نفسه تائه بالشوارع، أما المنبهر بصروحها فهي في حقيقتها أماكن تتدنر بغياب الإنسان وضياعه وهلاكه ( المقابر، المرافئ..)، وقد أجاد الشاعر بعقد هذه التقابلات بين الحلم والواقع، يقول: (2)

وماذا لنا من شמושِ المدينة ؟ / عتمةٌ أحراننا في المصانع ؟!! / وماذا لنا من فضاء المدينة ؟ / حرقتنا وعذاب الشوارع ؟!! / وماذا لنا من صروح المدينة ؟ / مقبرةٌ .. ورحيلٌ ومرفاٌ !!؟

وتظهر المدينة -عند نصرالله أيضاً- بلا حياة، جامدة، تعترتها الانكسارات، والعزلة، حتى النباتات ليست في تربتها الحقيقية؛ فهي معرضة للموت والهلاك؛ فجميع مظاهر المدينة توحى بالوحشة، مما يزيد من توتر الشاعر وقلقه الناتج عن الخوف والهلاك، يقول: (3)

عراءٌ يضربُ المدن / ويتركها عرضةً للانكسارات / مقاعد رصيفية مثقلة بعزلة ساكنيها / ونباتات تطل على الرمل / فتكتب وصاياها .

وتظهر المدينة بوصفها وردة فاجرة، تشبيها لها بالمرأة، وهي صورة كثيرة الدوران في الشعر الحديث، يقول: (4)

تمنيت أن يخرج الصمْتُ عن ظلِّه / آه .. أيتها الوردة الفاجرة ! / لم تكوني لنا مرة واحدة / كنتِ للصمتِ .. للموتِ / للقتلة / كنت للتاجرِ العسكريِّ / وللحرسِ الدمويِّ / وللطعنةِ الغادرة / آه .. أيتها الوردة الفاجرة / لم تكوني لنا / لم تكوني .

وعلى عكس المتوقع، فالمدينة تتكشف على حقيقتها فليست مكاناً لتحقيق الأحلام، وتحقيق الطموح، وتقدير الذات، بل نجدها فضاء يمارس فيه الكبت والقهر والتضييق، إنها سالبة الإنسان: آماله وأحلامه وحرية و إنسانيته، يقول: (5)

مدنٌ والشبابيكُ فيها حراب.. / وجدرائها... والسقوف حراب/ كل هذا الغياب/ فمن أي باب ستدخل شمسك/ من أي باب !!!

ومن هنا نجد نظرة الشاعر إبراهيم نصرالله أكثر سوداوية للمدينة، إذ تتقل بين وحشتها، وحقيقتها الزائفة، وفجورها؛ لتسلب الإنسان قيمته وتزيده ألماً وعذاباً بدلاً أن تحتضنه. ويمكن تفسير هذه الرؤية السوداوية إزاء المدينة، أنّ الشعراء غادروا قراهم " يحملون في عيونهم تطلعات في اكتشاف عالم جديد، والشعراء بطبيعتهم حساسون شفافون، وهي طبيعة ستحجب رؤيتهم للمدينة على حقيقتها بادئ الأمر، لأنهم سيواجهون بما يصطدم مع ما جبلوا عليه من شفافية، وستترك هذه الصدمة أثرها في إبداعاتهم الممهورة بالروح الرومانسي" (6).

(1) - المصدر السابق (ص 55)

(2) - نصر الله، الأعمال الشعرية (ص 63)

(3) - المصدر السابق (ص 626)

(4) - نصر الله، الأعمال الشعرية (ص 128)

(5) - المصدر السابق 410

(6) - أبو غالي، المدينة في الشعر العربي (ص 12)

ويشكّل الفَرْعُ من المدينة موقفاً يلفه الكثير من الكره والخوف لدى إدوارد الخراط؛ إذ يختنق بفضاء المدينة الملوّث، ويشعر بالموت البطيء بسبب ما يرشح عنها من فوضى؛ وكأنه مكان يناقض المتأمل، أو مكاناً ضداً يقابل الفضاء الصحي والنقي والجميل في الريف: (1)

كلّ هذه المدن المسكونة بالإسمنت والرماد / وحرائق الفضلات / تسقط غباراً فضلاتها عليّ / ماذا تبقى من الرئتين ، تلك القربة الجافة إذ تتكسر / من زلزال الروح الممتلئة غضباً .

فالشاعر ناقد على المدينة بوجهها الحضاري المقيت، فهي كثيرة الأسمنت (المباني)، والرماد (نتيجة الحركة)، والفضلات، ممّا يؤدي الشاعر نفسياً وصحياً، وكأن الشاعر وهو يتحدث عن هذا الفضاء يدلّل على أنه فضاء يقود للموت البطيء نتيجة هذا الحضارة، وهو فضاء مغاير لفضاء الريف.

وتكشف قصيدة ( الخروج من حظيرة الرماد ) حالة الرعب والخوف من الممارسات في المدينة التي يصفها بالعفونة: (2)

أخاف أرتجفُ / في شارعٍ خلفي في ضمائر المدن / حين تكثر النساء واللصوص والعفن / أعرّفهم بالخوف يولدون ثم يولدون / ثم يقتلون .. يقتلون / الخير كالحياة / والحياة خبزنا الذي يقودنا لرقصة الحياة / أخافُ المدينة كلّها تعرقني بالخوف .

فضاء المدينة لدى الشاعر فضاء لا يستطيع العيش فيه بسلام؛ فالخوف يسكنه، نتيجة هذه المظاهر والممارسات التي تجعل المكان متعفنًا، عارياً من القيم والأخلاق . بل يمتد هذا إلى جانب آخر ضمن جدلية الموت والحياة، ففي هذا الفضاء المدني يولد الخوف مع الرذيلة، الخوف من الموت نتيجة الجوع والفقر، من اللصوص والسامرة، من الانحراف والضياع والتشرد؛ فيصبح فضاء المدينة قائماً يغرق الشاعر بالرعب والقلق والخوف، وكأنّ الشاعر يضعنا أمام لحظة سينمائية تتوحد أجزاءها؛ وأشيء بالقلق والتوتر من هذا الفضاء المكاني .

ويشعر محمود فضيل التل بمرارة الاغتراب عندما زار مدينته (إربد)؛ فكّل شيء تغير، فحزن الشاعر وألمة نابع من تغير المكان، إذ امتد إليه حمى المدينة، فتغير معالمه؛ فالشوارع انتهت إلى أسواق مكتضة للتجار، ومعالم البيوت الريفية تغير بطابع الحضارة العمرانية ( الطوب )، بل يخشى ألا يعرفه أحد؛ فهو أشبه بالغريب. ومن هنا فنقمة الشاعر ليست ضد المكان بوصفه مكاناً ثابتاً بل بسبب ما أصابه من تحول، أي ضد هذه الحضارة التي غيرت وبدلت، لتصبح تلك القرية الريفية الوادعة أشبه بالمدينة الغربية؛ لا يعرف بها أحد: (3)

فأسألُ الناسَ عن دربٍ مشيت بها / قد ألغيت .. وانتهت سوقاً لتجارٍ

وما وجدتُ بها حتى ملاحنا / قد بدّلوا وجهها بالطوب والقارِ

إذا نظرتُ إلى الحاراتِ أجهلها / فلسْتُ ألمح فيها بعض آثارِ

ويعبّر الشاعر عبد الله منصور عن رتابة الزمن في المدينة؛ إذ ينحصر في الحزن والألم والوحدة، يقابله ليل مجنونٍ صاحب؛ إلا أن الغريب يبقى حيراناً تائهاً فيها، يقول: (4)

من يخبر سيدتي أنّ الوقت هنا دمعٌ ... / والوقت هنا أشجانٌ / والليل هنا مجنونٌ ... / والشارع تحرقه الأضواءُ وتصفعه الألوان / والغرباء حيارى ...

فعلى الرغم من مظاهر الحركة والألوان في المدينة، وكأنّ الشارع لكثرة الأضواء يحترق، أي كأنّ الليل نهار، إلا أنّ روح الشاعر غير أنيسة، كئيبة مستوحشة في هذه المدينة، فنظرة المغترب في المدينة تعني أنّ الزحام لا أحد.

ويعبّر عن جمود الزمن في المدينة؛ مما يوّد الإحساس بالسأم والقلق، الذي يفتك بالإنسان، فلا أنيس، ولا أحبة، يقول: (5)

(1) - انظر القصيدة لدى حمودة زلوم، المدينة في الشعر الأردني (ص 12)

(2) - انظر المرجع السابق (ص 14)

(3) - التل، الأعمال الشعرية (ص 455)

(4) - منصور، عبد الله، الديوان (ج 1 / 177-178)

(5) - المصدر السابق (ج 1 / 179)

من يخبر سيدتي أن الأيام هنا صورٌ جامدةٌ / مُلصقةٌ فوق الجدران

ويعبر الشاعر عن حالة الضياع التامة في المدينة، والتحسر على هذا العمر الذي مضى غربياً مشرداً بعيداً عن المحبوبة/ القرية، ممّا يولد في نفسه الشعور بالكآبة والحزن التي تمتزج بصورة احتراق عُمر الشاعر الذي استحال رماداً: (1)

كان الصباح يصوغ ذاكرتي / من الحزن المغمس بالرماد / عمري مضى / " مادلني أحدُ عليك " / وأنت في بالي قرنفة  
يحاصرها الحدادُ / هو وقتنا صعب ... / ونبضك مثل نبضي ... / عاشقان نمرَ أغنية على مدن السواذ .

وتشكل المدينة لدى الشاعر محمد القيسي فضاءً يندم فيه الآخر الأنيس؛ فلا أحد يسمعه أو يسأله، فيسقط صامتاً، وكأن المدينة صحراء خاوية، ممتدة لا حدود لها، فيعاني التمزق والوحدة والوحشة، يقول في ( قصيدة عزم منفرد ) (2):

الأغاني انطفأت هذا الصباحُ / والمدينة / عادةً ترفضُ وُدِّي / وأنا أبحثُ في كلِّ الوجوه / عن يدٍ تسند ظهري / ها أنا أسقط  
وحدي/ وسطَ هذا الشارعِ المملوء بالأقدامِ ملتفاً بصمتي / ليس لي قدرة أن أصرخ،/ من يسمع صوتي؟! / هذه الصحراءُ  
رحبٌ لا يُحد .

ولعلّ مفردات (الانطفاء، السقوط، الوحدة) تعبر بعمق عن الحالة الشعورية لدى الشاعر، جراً هذه الوحشة في المدينة، فعلى الرغم من هذا العدد الكبير من سكان المدينة إلا أنّ الشاعر منعزل تماماً عنهم؛ وكأنّ لا أحد موجود، ولهذا جعل فضاء المدينة أشبه بالصحراء، التي تشي بدلالات مفتوحة نحو الصمت، والعزلة، والهلاك .

ومن هنا نجد الشاعر يشعر بالوحدة، ويتجرّع قسوتها ومراراتها، حتى المحبوبة ينتظرها بلا طائل؛ فلا تجيء في هذه المدينة، يقول: (3)

زنبقاتُ الحُزنِ ، يعانقن الظهيرةُ / يتساقطن على طاولة المقهى / ووجهي لوحهٌ ، ينقصها اللونُ الأخضرُ / قهوتي تبرّد في ظلِّ  
الشبابيكِ الحزنيّةِ / وأنا أرقبُ أن تأتي ، ولكن / خاننا التوقيت في هذي المدينة.

إنّ منظر الزنباقات يتساقطن على طاولة المقهى، أشبه بروح الشاعر، التي تتهاوى وتسقط، بل نجد قهوته تبرّد، والترقب دون وصول، جميعها تشي بالحالة النفسية لدى الشاعر؛ إذ عكست مدى تمزقه نتيجة هذه الوحدة والغربة . ومن هنا يصبح فضاء المدينة سائلاً لكلّ ما هو جميل ينبض بالحياة، إذ يصعب، في نظر الشاعر، تحقّق الأحلام فيه، ممّا يجعله فضاءً يتجسد فيه الممكن في صورة اللامكن .

ولا يتوقف الشاعر عند فضاء المدينة حسب ، بل يجعل من متعلقاتها كذلك دور في تعميق معاناته، فالمقاهي ترفضه وكذلك نساء المدينة، يقول : (4)

سجلت أسماء كلِّ المقاهي التي رَفَضْتَنِي ، / فكلُّ النساءِ اللواتي عرفتُ ، / وأحبيبتُ ، / خَلَيْتَنِي للتسكّع في حَدَقَاتِ الشُّوارعِ /  
خَلَيْتَنِي للتسكّع في حَدَقَاتِ الشُّوارعِ / والمدنِ الجاحده .

ويتضح موقفه الراض للمدينة؛ إذ لم تعدّ تشكل له مكاناً يستطيع العيش فيه، أو يمارس فيه حياته الطبيعية؛ فهي تغتال فيه كلّ شيء، وتسلبه إنسانيته، ومن هنا تبدو ثيمة الرفض والنفور من المدينة ومعطياتها جلية؛ فلم تعد تلك المدينة التي تمنح الشاعر الأمن والأمان، بل العكس، فهي تعقر ناقته، وتغتال حبه، وحيواته الجميلة، لذا يدير الشاعر ظهره لها، باحثاً عن غيرها (5)، يقول : (6)

(1) - المصدر نفسه (ج1 / 437)

(2) - القيسي ، الأعمال الشعرية ( ج1 / 105)

(3) - القيسي ، الأعمال الشعرية ( ج1 / 93)

(4) - المصدر السابق ( ج1 / 211 )

(5) - العامري ، الاغتراب في شعر محمد القيسي ( ص 43)

(6) - القيسي ، الأعمال الشعرية ( ج1 / 614-615)

ليس بي رغبةً في حوارِ المدينة ، / أو نهرها / وأقطفُ ما أشتهي ، / ليكونَ طريقي إلى غيرها/ فليسَ على بابها ما أراهُ جديراً  
بحزني / جديراً بممتلكاتِ دمي ، / وجديراً بما ضاعَ مني/ فيا عاذلي لا تلمني/ لقد عقرتُ ناقتي / حين كنت أغني / وأنشر فوق  
السطوحِ مناديلَ عيلةً ، / والأرض تأخذ عني / فهل صار عنترةُ الآن نسياً ، / وغابت بروق يديه ، / لتبدأ قصّة لؤني !  
فالشاعر يقدم مسوغات هذا النفور والكره لهذه المدينة، فهي غير جديرة بحزنه، ولا بحبه، ولا بما فقدّه ( وطنه )؛ فهي في تصويره لا  
تشكّل تعويضاً أو مقراً خصبا لتطلعاته وآماله وطموحاته . ومن هنا يوظف الشاعرُ عنترةً بوصفه رمزا للإنسان المبدع المظلوم في  
وطنه ( قبيلته )، إذ يستعير الشاعر من هذا الرمز التاريخي ثيمة الاغتراب والغربة والضياع بسبب تنكّر قومه له، إلا أنّ القيسي هنا  
يعترب بسبب ضياع أحلامه في المدينة التي تصبح معادلاً للقبيلة المجحفة.  
ويستمر الشاعر في رصد موقفه من المدينة بناء على عديد من المسوغات التي تنتشر في القصيدة ، فلم تعدّ تلك المدينة المحببة ؛  
أو بالأحرى لم تعد مكاناً أنيساً نفسياً يناسب الشاعر ؛ فالحمام بعيد ، دلالة بعده عن قريته، وروحه قلقة مرتعشة خوفاً من المجهول .  
يقول : (1)

فيا أيّها العاذلون لماذا أقف ! / حمامُ القباب بعيدٌ / وروحي هنا قطرةً قطرةً ، / تستوي وتُحِف / وأغنيتي ترتجِف

ومن هنا فالشاعر ضائق بالمدينة المكان المتحول ، فلم يعد صافياً جميلاً بريئاً كما عهدّه ، ويبدو أن يد الحضارة امتدت لهذه  
المدينة فغيرت الكثير حتى ساحلها وعشبها، فلم تعد مألوفة له. ويبدو - كذلك - أنّ الشاعر يعيش حالة من الصراع في هذه المكان  
بين شكله المادي الجديد وماضيه الجميل، وهو صراع انتهى برفض الشاعر للمكان الجديد الصّد، يقول: (2)

أرى وجهاً لم يَغْدُ صافياً ، / مثلما كان قبل مئاتِ السنين / وقبَل نصالِ السكاكين / وقبل كهولةِ رُوحِي على بابها / فهل عرفتُ  
ما بها / لماذا أقف / ولا عشب في بحرِها ! / وكيف إذا ما مررتُ وعابنتُ ما / تفعل الآن بي / كيف لا انعطف ! / فماذا تبقى  
لديها / وماذا تبقى لدي / لقد بدلت ثوبها الساحليّ / وألفيتني في بوادي يديها ، / بلا كسرةٍ ، / أو مزامير ، / تُفضي إلى داليةٍ

وغالباً ما يقترن حضور المرأة بالمدينة، بل شكل حضورها نوعاً من التوازن النفسي لدى الشاعر، وربما خلاصاً من الآمه وعذاباته،  
وبغيابها يبدو كل شيء مغايراً، بل يرى كلّ شيء انعكاساً لنفسه المتشظية نتيجة الوحدة. وبالتالي تتجرد المدينة من كلّ زينتها، بل  
من كل مظاهر العيش والحياة: (3)

المدينةُ دُونَكَ فارغةٌ / الشوارعُ صماءٌ ، ولا أسماء لها / والضجيجُ أخرسٌ / الوقتُ مسدّسٌ وبحرٌ مَيّتٌ  
ولا سمكٌ ينمو، / ولا شجرٌ أو أزهارٌ / ولا شرفاتٌ مضاءةٌ / سعاةُ البريدِ هجروا دابّاتهم... والنساء بلا زينة.

ويشكل البعد الحضاري للمدينة أزمة للشاعر عبد الله منصور؛ فالمدينة ليست سوى مرايا زائفة وجُدر مغلقة، ومقاهي تزول منها  
الذكريات، وقد تجسّد ذلك من خلال صوت الشاعر، يقول: (4)

إنّك الآن / في الغربةِ القاسيةِ / بين عبءِ المرايا وصمتِ الجدارِ / والمقاهي التي أصبحت / دونما ذاكرة .

ويعبّر محمد لافي عن حالة خواء في المدينة ؛ فلا شيء فيها يشعر بالأمل ، فهي قابعة في الصمت والخواء ، تجعله يشعر  
بالفناء والموت : (5)

(1) - القيسي ، الأعمال الشعرية ( ج1 / 616 )

(2) - المصدر السابق ( ج 1 / 617-618 )

(3) - المصدر نفسه 575 - 576

(4) - منصور ، الديوان ( ج 2 / 189 )

(5) - لافي ، لم يعد درج العمر أخضر ( ص 77 )

في هذه المدينة المكسورة الأمداء / في ساحاته المملّبة / أرى خواء التجربة/ ما زال فارس الزمان والمكان ، / حيث خطوتي إشارةً مُهزبةً / في هذه المدينة المكسورة الصدى / مدينة السكوت/ في كل لحظة أموت .

ويعبر حاكم عقرباوي عن قلق الذات في المدينة، فهو يبوح بما تعتري ذاته من تشظي إزاء المكان ( المدينة) التي لا يجد فيها سواء الفراغ والخواء، وكأنّ الشاعر دخل إلى دائرة الموت، وضياح الأحلام. وبالتالي يحدث هذا التوتر بين الذات والمكان ( المدينة ) لتمتد إلى هذه الفجوة ؛ فتجعل من الشاعر ذاتا مستلبة، يقول في قصيدة بعنوان (خواء) :<sup>(1)</sup> لهذه المدينة / عادتُها في الدخولِ البطيء / إلى جنّةِ الوقت / دهران لم تتعرف / على شبحي في الشوارع ... / تزين أسماؤها / ثم تسرق من جسدي / ما أودعته الطبيعة / من عبثٍ لم يكن / غير / هذا / الخواء / الجسور وتمثل المدينة لدى الشاعر علي فزاع فضاءً يغرق بالضياح والتشرد وعدم الألفة وغياب الأُنس؛ إذ يضع المتلقي أمام صورة بشعة للمدينة تتم على الكره والرفض لها، يقول :<sup>(2)</sup>

من أين سأعرف دربي ، / وأنا ما بين حنينٍ ملتهب ، / ودروب المدينة ...؟ / من أين سأدري ، / وهدير الزّمن المتدهور . يمخر في قلبي ، / كسفينة ...؟ / يا للأرصفة الملتفة من حولي كالثعبان / لم تعبر هذي القطعان البشرية مسرعة ، / وكان بهم مسأ من جان ...؟ / لم تعبر من فوقي ، / وأنا كالنملة منسحقٌ ، منسحقٌ ، / تحت الأقدام ... / يا للوحشة !

فالشاعر يعبر عن تيهه وضياحه في هذا الفضاء الجديد والغريب عنه، فهو فضاء غير أنيس رغم إزدحامه بالناس، إذ يتسم بالسرعة واللألفة والغرابية، مما يجعله يشعر بالقلق والوحشة والخوف وكأنه نملة مسحوقة. ورغم كل هذا الانفصال الذهني والجسدي عن فضاء المدينة، الذي يفقده القدرة على التواصل معها فكريا وجسديا، وكأنه فقد السيطرة على ذاته، تبرق في ذهن الشاعر محاولة إعادة التوازن النفسي لهذه الذات المتشظية التي وصلت درجة التأزم، من خلال استحضار قريته زي ومناجاتها وسط تراتيل تحاول بثّ شيئا من السكينة والطمأنينة والقدسية:

وأرتلُ في عمقي المتحسر : / يا زَيّ ، / يا زَيّ ، / يا زَيّ ...

ولا بدّ من الإشارة أن رؤية الشاعر تعكس مدى هذا الصراع بين الحياة والموت، من خلال استحضار ثنائية المدينة والقرية ؛ وكان فضاء المدينة الموحش الخائق يقوده إلى الفناء؛ فالأرصفة تلتف حوله كالثعبان، وهو وسط الزحام منسحق.

وتشكل المدينة لدى الشاعر عبد الله رضوان فضاء يسلب الذات جميع الأحاسيس، وتجعلها مجردة من كلّ شيء حتى من الأحلام، بل نجدها بفضائها الغريب على الشاعر، تقتل الذاكرة التي طالما حملت أشياء جميلة من الماضي، ومن هنا نستشعر هذا الاغتراب

الذاتي لدى الشاعر ، وكأنه مغترب عن ذاته ، لا يعرفها في هذا الفضاء فيقرر الرحيل ، يقول في قصيدة (الغريب) :<sup>(3)</sup>

تطلعتُ في الأفق / كان الهزيعُ الأخيرُ / وما كنت أحلمُ / للكونِ أصواته الداخلية / للشعراء روى لا تصدقُ / جمعُ حقيبة قلبي / بقايا حياتي الجميلة / قلتُ أغادر / ها أنت تهزُبُ / ما شئت سمّيه / هذي المدينةُ توجعُ حتى النبيينُ / تصادر كلّ الأحاسيس / تقتلُ حتى هوى الذاكرةُ

ولعلّ استحضار الشاعر لثيمة الضياح والاعتراب ناسبت إلى حد كبير ارتباطها بصورة النبيين.

## - ثانيا : الحنين إلى المكان

يبدو أنّ اهتمام الشاعر بالمكان نابع من شدة حبه له وتعلقه به، خاصة المكان الأول أو الأليف؛ فالمكان يمثل له مسرح الذكريات والطفولة والصفاء والجمال، لذلك نجد الشاعر منشغل بهذا المكان مستحضرا له بوعي منه أو بدون وعي، إذ يسهم في تشكيل رؤى

(1) - عقرباوي ، حجر وديع في مدن قريبة من اسمها ( ص 8)

(2) - الفزاع ، الأعمال الشعرية ( ص 247-249 )

(3) - رضوان ، شهقة من غبار (الأعمال الشعرية ) ( ص 286)

الشاعر؛ مما يثري تجربته الشعورية . ومن هنا فإن علاقة الشاعر بالمكان هي علاقة تأثر وتأثير، إذ " يمارس فاعليته في المكان بل ويغيّر من طبيعته في كثير من الأحيان، ثم يعود فيمارس تأثيره في الإنسان في دورة لا تنتهي من التأثير المتبادل " (1).

ويبدو أنّ الشاعر حين يوظف المكان في نصه الشعري، يحملّه كثيراً من انفعالاته وجزءاً كبيراً من ذاته، ويسعى جاهداً لربط انفعالاته بالمكان الذي يعبر فيه عن عمق التجربة الشعورية (2)؛ إذ يسهم المكان الشعري في إعادة خلق صورة مكان الألفة، ويزيد من سطوعها، وتعميق حد انفصال مكان الشاعر نفسه عن مكان القصيدة الشعرية (3) .

ويمكن القول إنّ الشعر العربي شعر مكانيّ بامتياز، مرتبط بالبيئة ارتباطاً وثيقاً، كان لزاماً على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه لأهميته ولفك رموز النص، والسعي للكشف عن عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، وما دامت الغنائية في الشعر العربي هي المسيطرة، فلا بدّ أن تكون ذات الشاعر ومكانه شيئاً واحداً لا يمكن الفصل بينهما (4).

ولمّا كان الزمان والمكان شديدي الالتحام ببعضهما، يصعب الفصل بينهما، يرى بلاشر أن حياة الشاعر بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمان معا (5). ومن هنا يرى الباحث أهمية عدم النظر إلى المكان بمعزل عن الزمن.

يتمثّل الاغتراب المكاني في شعر عرار من خلال الارتداد إلى الماضي والهروب إليه؛ فنجدّه يلوذ به متحسراً على الأيام الخوالي، إذ لم يكن للمستعمر وجود هناك، ويبدو أنّ عراراً كان متشائماً ممّا آل إليه حال وطنه وشعبه بسبب هذا المستعمر، يقول (6):

يا أخت رمّ : كيف رمّ ؟ وكيف حالّ بني عطية؟  
هل ما تزال هضابهم سُماً وديرتهم عذبةً ؟  
سُقيا لعهدك والحيّا ة كما نؤملها رضيّة  
وتلاع " وادي اليتيم " ضا حكةً وتربته سخيّة  
وسفوح شيحان الأعـ نّ بكلّ يانعةٍ سخيّة  
أيام لم يكُ للفرنجية ـة في ربوعك أسبقية

ويقوده الاغتراب إلى الهروب إلى الماضي الجميل إذ يرى فيه، السعادة المنشودة ، ويتمنى لو أن الزمان توقف عند تلك اللحظات ، فيقف الشاعر على " كوخ الندامي " المهجور، ويكيه بالدمع السخي بعد أن كان يجمعه بنفٍ من رفاق دربه الذي تفرقوا (7).

يقول (8):

" كوخُ النُدّامى " قد تقلصَ ظلُّهُ وعراضُهُ أَقْوَيْنَ من نُدّمانِهِ

...

وارحمتا للكوخ كيف تبرّمتْ ضَجْرًا صُوى اللذاتِ في عنوانِهِ  
تدعو السقاة كؤوسها فيجيبها رَجْعُ الصدى يرتدُّ عن جدرانِهِ

ويحنّ الشاعر إلى المكان الذي كان يجد فيه ملاذاً من واقعه الأليم، بل هروباً من اغترابه وذاته المستلبة، ولعل (كوخ الندامي) كان يمثل للشاعر قيمة كبيرة؛ فهو يفرغ فيه همومه حيث الصبح والغناء واللهو، إلا أنّ الزمن الجميل تحوّل، وكذلك هذا المكان؛ إذ غداً أطلالاً موحشة يبكيها الشاعر، ممّا زاد من ألمه وحسرتة، يقول (9):

(1) - السيد ، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة ( ص 13 )

(2) - انظر عنبتاوي ، تجليات المكان في شعر إبراهيم نصر الله( ص 17 )

(3) - انظر نجم الدين ، المكان في النص الشعري(ص 128 )

(4) - مؤنسي ، فلسفة المكان في الشعر العربي( ص 8 )

(5) - انظر بلاشر ، جماليات المكان ( ص 37 )

(6) - عرار ، عشبات وادي اليباس ( ص 437-438 )

(7) - المجالي ، الثورة والاغتراب في شعر مصطفى وهبي التل ( عرار ) ( ص 26 )

(8) - عرار ، عشبات وادي اليباس (ص 403 )

(9) - المصدر السابق (ص 379 )

أين الندامى مضوا كلَّ لطيَّته  
فلا كوؤسٌ ، ولا ساقٌ ، و لا وترٌ  
يا وحشة الكوخِ، أضفي فوق وحشتنا  
فإنَّ عبرتنا أودتْ بها نُوبٌ  
الصَّحْبُ أُضْرِبَ حتى عن إعارتنا  
دمعا تموجُ بقاياهُ بأشطاني  
وخلفوني بهذا الكوخِ وحداني  
يشنَّفُ اليومَ ، واوليلاه أذاني  
دمعا نهلهُ من سقفِ وجدرانِ  
كانت وما برحتْ تجتأحُ أوطاني  
دمعا تموجُ بقاياهُ بأشطاني

ولعلَّ سؤالَ الشاعر في بداية المقطوعة يشي بعمق هذا الاستلاب؛ فالمكان والزمان والصحب ذهبوا جميعاً، وبقي وحيداً يعاني الوحشة فوق وحشة حاضره .

وفي موقع آخر، يحنُّ الشاعر للمكان الريفى، فيستحضر الطبيعة كنوع من التعويض النفسى، ويمزجها بحضور المرأة علَّه يخفف لظى هذا الاغتراب: (1)

يا بنتُ وادي الشتا هشتُ خمائلهُ  
لعارضٍ هلَّ من وسميِّ مبدارِ  
"وثغرةُ الزعتري" افتَر مَبسُمها  
عن لونِ خَدِّكَ إذ تغزوه أنظاري  
وسهلُ إريدٍ قد جاشت غواربُهُ  
بكلِّ أَخَاذٍ مِنْ عُشْبٍ وَنَوَارِ

وما حضور الطبيعة بهذا الوصف إلا توقفاً للصفاء والجمال والراحة، التي ينشدها الشاعر مقابل واقعه الأليم، المليء بالهم والنكد والقهر والنفاق ، وكأنَّ الشاعر يقيم توازناً نفسياً لتهدأ روحه .

ويعبّر الشاعر رشيد زيد الكيلاني عن حنينه لوادي السلط (2)، حيث الطبيعة والجمال والصفاء، إذ يعبر عن حرقة وقلّة صبره، فيتمنى عودة الزمن ليحظى بجماله طبيعته ورقة منظره. وقد جاءت المقطوعة بعاطفة جياشة يمتزج فيها الحنين بوصف الطبيعة، يقول: (3)

يا جنة الأرض فرطُ الوجْدِ أحرقتني  
ضاع اصطباري متى أحطى بلقياك  
متى أرى الفجرَ مختالاً يرورف في  
جنبك الغصن يجري في محياك  
متى أرى بسمة الأصباح ترقب بي  
رياض خَدِّكَ نورا من ثناياك  
متى يباكرني رطبُ التَّسِيمِ وفي  
أعطافه نفحةٌ من طيبِ رَيَاك  
ليفعل الدهرُ ما يبغى لينسيني  
ذكراك هيهات إنى لست أنساك

وإذا كان رشيد الكيلاني يجعل من سؤاله بؤرةً زمنية متقددة للحنين إلى المكان، نجدها ماثلة عند حسن بكر العزازي، إذ إنَّ الزمان والمكان لا ينفصلان في رؤية الشاعر؛ فهو يحنُّ لكليهما ، فهما – أي الزمان والمكان – وحدة متناغمة تفيض جمالا وأنسا يتوق له

الشاعر، بكل تفصيلاتها الرعوية البسيطة، يقول متشوقاً : (4)

هلَّ الشريعةُ فياض كعادته؟  
وهلَّ تقبلهُ الدفلى على الثَّغْرِ؟  
هلَّ للجنادبِ موسيقى منغمة؟  
وهلَّ تغنى على ألحانهِ القمري؟  
هلَّ الرعاةُ إلى الأغنامِ قد دبكوا  
على المزامير حتى مطلع الفجر؟  
وفي البيادر هلَّ هبَّ الهوى وشدا له  
المدزى فأشجى الروحَ بالسحر؟  
وهلَّ بناعورَ ظلَّ الظبي يشردُ من  
لفح الهوى ويطيئُ الوصلَ بالسرِّ؟

(1) – المصدر نفسه ( ص 242 ) ، الزعتري قرية شمال مدينة السلط في الأردن

(2) – السلط مدينة أردنية تقع قرب العاصمة عمان

(3) – الكيلاني ، ديوان زفرات الذكرى (ص 87)

(4) – العزازي، عيون سلمى (ص 32 )

ومن جهة أخرى ، يرسم العزازي صورة لهؤلاء الريفيين في بعض ضواحي عمان القريبة "البيادر، وناحور"، معجبا بما بينهم من صلات إنسانية يحبها، وهو عندما يصور هذه الأجواء الزاخرة بمكونات الريف الأردني من بيادر الحصاد والمذريين و"هبوب الهوا" فإنه يشعر بالراحة والسعادة، ونراه يكرر حرف الاستفهام(هل) في كل بيت عندما يرسم مثل هذه الصورة؛ ما يوحي بشدة تعلقه بهذه الأجواء، وبصورها المختزنة في وجدانه، وكأنه يحاول أن يطمئن على استمرار وجودها في هذا الريف<sup>(1)</sup>، وهذا جو يحسّ الشاعر فيه بقدر كبير من الدفء والتواصل والسعادة، والرومانسيون بطبيعتهم متعلقون بالطبيعة وبالريفيين وبالرعاة الودعاء، الذين يحتفظون ببساطتهم بعيدا عن ضوضاء المدن وضجيجها<sup>(2)</sup>.

ويرصد الشاعر محمود فضيل التل مدينة (إربد) مهد ولادته، يتشوق لها باكيا على تغير حالها، خاصة ملاعب الصبا ومهد الذكريات:<sup>(3)</sup>

أتيث إربد أشكو من محبتها      شكوى المحبِ المكويّ بالنارِ  
ورحت أسأل عن دارٍ درجتُ بها      لما أزيلت... بكيثُ العمرِ يا داري  
وظافت النَّس في وجدانٍ حاضرها      واستعدبت صورةَ الماضي بأنظاري

ويتوق الشاعر إلى الزمن الماضي بما يحمله من ذكريات جميلة ، ذلك الزمن المرتبط بالمكان لا يفصل عنه، فهو حنين لا يتوقف على مرّ الزمان، يقول:<sup>(4)</sup>

أشتاق عهدا بها والشوق يقتلني      لو كان فيها الردى آتي لأقاري  
فلي ياربِ أشجان تظل على      مرّ الزمان حنين القلب للدارِ

ونجد إبراهيم نصر الله متحسرا على ذهاب المكان، الذي كان يشعّ جمالاً وصفاء؛ حيث الطيور كانت تطير فوق البيوت، والربيع يتسلق الأشجار .. ، وما هذا الاستحضار سوى صدى لجدلية الحضور والغياب؛ فالشاعر يتصل بروحه بالمكان الأول الأليف، إلا أنه يُصدم بواقعه وحاضره؛ فهو البعيد عن ذلك المكان الحميمي، وكأنّ الشاعر يحلم<sup>(5)</sup>:

الحمائم تطير أبيض أبيض فوق البيوت / الربيعُ تسلّق في غمضة العين هذا الشجر / أتذكر شيئاً جميلاً وأنساه / هل كنت يوماً هنا/ أم حلمت ؟ .

ويقول مستحضرا بيته، ومتعلقته، المحسوسة البصرية والشمية ، فمن البيت والنافذة والصنوبرة إلى النخلة إلى رائحة الأم التي تمتزج برائحة القرنفل في هذا البيت<sup>(6)</sup> :

في آخر الأثق أضواء بيت أليف / ونافذة / وصنوبرة قد تكون أحاك الكبير أو أختك / أربما بعض أمك / أو ربما نخلة / أو قرنفة

إن رصد التفاصيل في هذا الاستحضار ينم على حالة وعي بأهمية المكان (البيت الأليف)؛ بوصفه مكاناً حميماً يخفف من معاناته في الغربة، وقد يشكّل له توازناً نفسياً، كما يشكّل ملاذا للراحة والعودة ، والتخلص من شبح الضياع والتشرد . ومن هنا نفهم قول بلاشر أنه البيت ليس مجرد بقعة موجودة أو متمركزة في مكان ما ، أي ليس مساحة مادية حسب، بل حالة احتضان نفسي جسدي .<sup>(7)</sup>

(1) - انظر عياط ، صورة عمان في شعر حن بكر العزازي (ص62-63)

(2) - بلاطة ، الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث (ص٥٨)

(3) - التل ، الأعمال الشعرية (ص268)

(4) - المصدر السابق (ص 269)

(5) - نصر الله ، الأعمال الشعرية (ص 104)

(6) - المصدر السابق (ص112)

(7) - بلاشر ، جماليات المكان (ص45)

وهذا القول ينسحب على استحضر حبيب زيودي للمكان ضمن تلك الجدلية، فهو يتصل بالمكان والزمان الماضيين، منفصلاً عن الحاضر؛ إذ نجد ذاكرة الشاعر تمتد إلى الزمن الماضي بتفصيلاته، فيتتبعها وفق مشهد درامي، يظهر فيه الأب الذي يمثل بؤرة هذا المكان: (1)

كلما دندن العود رجّني لمنازل أهلي / ورجّع سرباً من الذكريات / تحوم مثل الحساسين حولي / أبي في المضافة .. / والقهوة  
البكرة مع طلعة الفجر عابقةً بالمحبة / وهي على طرف النار تغلي / وصوت أبي الرحب يملأ قلبي طمأنينةً / وهو يضرع لله حين  
يصلي .

ولعلّ هذا العفوية والبساطة والصفاء ما يفتقده الشاعر في حاضره، ولعلّ حنين الشاعر للمكان وتجذره به، أضاف إليه هذه القدسية والهيبه والوقار، المرتبطة بصورة الأب على هذا النحو.

ويقول واصفاً المكان بدقة؛ إذ يرصد التفاصيل الحياتية الرعوية التي يحنّ إليها، فتستحيل إلى ذاكرة بصريّة صوتيّة تمتزج برائحة الممارسات اليومية؛ فرائحة الخبز وحليب النعاج توقد الذاكرة وتشعلها . يقول: (2)

كلما دندن العود رجّني لمنازل أهلي / وردّ الممر العتيق إل بيتنا والسيّاح / ورائحة الخبز فواحة وحليب النعاج / ونافذة هي كل  
الطفولة / ياما تمرّجت فيها أنا وأخي / وكسرنا الزجاج / ونفّرح ، حين يكون أبي عند بوابة الدار / منشغلاً عن شقاوتنا،  
ويرحب بالجار في غبطةٍ ويهلي .

ولعلّ المتفحص للنص الشعري، يكشف مدى تحسّر الشاعر على تلك الأيام الخوالي الجميلة، ذلك المكان والزمان المواجه للواقع أو الحاضر الضد، بتعقيداته الذي سلب الإنسان كلّ مظاهر الراحة والعفوية والسعادة. ومن هنا نستشعر هذا الألم والتّحسر على ذهاب المكان؛ فكلّ شيء تلاشى يقول: (3)

هكذا يا أبي كلّ شيءٍ تلاشى / ولم يبقَ من فرح العمر إلا الصورُ / الممرّ العتيق يحن لوقع خطاك / وقد جفّ بعديك عشب  
الممرّ / ونافذة كلما جئت أسألها عنك / ألفيتها لا تجيب / وتجهش قلبي..

إن ارتباط الشاعر بالمكان شكّل له حياة، وملاذاً نفسياً، فقد كان نابضاً بالحياة والسعادة؛ ولعلّ ارتباط الأب به جعله أكثر انبعاثاً للحياة، وبغيابه يفقد المكان حيويته وكأنه يموت شيئاً فشيئاً، ممّا جعله يشعر بعظم هذا الفقد وهذا الاستلاب.

ويعبر الشاعر عن محبته وعشقه لقريته (العالوك) التي تمثل له ملاذاً لروحه المتعطشة للمكان، من خلال استحضر مشهد النساء و الجرار، ورعي الغنم، ممّا يشي بعنق العلاقة التي تربط الشاعر بالمكان، الذي يمثل له الخصب والحياة والجمال، يقول: (4)

قطرُها في كتابي خمرَةً مُزجّت / بريشتي ، / وتعاويدي ، / وأنفاسي، / ما ذقتها فأنا الساقى أطوف بها / في حانة العشق /  
نشوانا على الناس / جرارها الراعيات السمر ، فالية / على الروابي / بقطعان / وأجراس / جرارها / كل رمح شق خاصرتي /  
مهفهف / من رماح البدو مياس / جرارها الراعيات السمر واشغفي / بالساكنات تباريحي وإحساسي .

ولا يتوقف هذا الاستحضر للمكان والزمان عند الزيودي على الذاكرة، بل يمتدّ إلى الصوت؛ فنجد الناي مرتبطاً دوماً بغربة الشاعر عن قريته وأرضه مهد طفولته؛ فصوت الناي يوحي بمدى هذا الشجن والحنين للمكان ولذكرياته، ويقول: (5)

كلما غابوا بكى الناي وابكاني / وفاحت في دمي ذكري الحبيب / يا غريب الدار ياناي / كلانا ذاب في الوجد .

ولعلّ الشاعر قد ضاق ذرعاً بحاضره، إذ نستشعر هذا الضيق الشديد بالمكان الحاضر، مما يجعل الشاعر يتوحد مع الناي في هذا الحنين للمكان الأول، وبالتالي يمكن القول إنّ "الحنين إلى الماضي هو ردّ فعل يولّده رعب الحاضر" (6).

(1) - الزيودي ، ناي الراعي ( ص 305-306)

(2) - المصدر السابق( ص 306)

(3) - المصدر نفسه (ص 307)

(4) - المصدر نفسه (ص 349-351)

(5) - الزيودي ، ناي الراعي ( ص 263)

(6) - بركة ، الريف في الشعر العربي الحديث : قراءة في شعرية المكان ( ص 54)

ويتحسّر الشاعر عبد الله منصور على ذهاب المكان، ذلك المكان الريفي الرعوي الذي يحمل هويته، من خلال استحضار وجه الأب المسجى على عشب الحواكير؛ ممّا يشي بعظم هذا الاستلاب للمكان الأول الأليف؛ فلم يعدّ وجه الأب ماثلاً هناك، ولا الكروم، ولا النساء ينطلقن ليملأن الجرار: (1)

كان وجه أبي / كهديل الحمام مسجى / على عشب الحواكير / والشعراء يسوقون مهجتهم / للأسى والعذاب الثقيل / فلأبي كرم / سنتطق القرويات / مع طلعة الشمس؟ / ومن أي بئر / سيملأن (عسليّة) العائلة

ويفتقد الشاعر محمود الشلبي الصباح في إربد، فيمزج بين شوقه للمكان وذكرياته به وبين صوت الصبح، وكأنه يتحسر على تلك الأيام الخوالي، إذ يتستحضر المكان بكل جزئياته، حيث الطيور والروابي والطبيعة الجميلة؛ مما يضيف صفاء وجمالاً على المكان: (2)

أكاد أسمع صوت الصبح يوقظنا ... / من غفوة الزمن ، / الغافي بأيديها .. / أيام كنا على أسماعها نغما .. / يشدو به طيرها ... حتى روايبها . / تختال ( إربد ) في ثوب الصباح ، وقد / أخضضت بالندى .. / والعطر واشيها . / تبتسم الأفق المنداح في رهف ، / كأنه في المدى ، / طيفٌ يناجيه . / غنيت ( إربد ) ، كم تحلو مواسمها .. / إذا دعّك إلى اللقيا دواعيها / أهفو إليها .. / إذا ما النائي فرّقنا .. / كأنها في ضميري صوّت حاديه .

ويخطاب الشاعر ( إربد ) متسائلاً عن حالها، وعن جمالها وخضرتها؛ مما يشي بعمق شوقه لهذا المكان وتحسره عليه: (3)

يا تلّ ( إربد ) ، هل ظلت مرابعا .. خُصراً ... / كما عرّدت فيها سواقيها ؟! / وهل تنفّض في أفياء داريتها ، / طير طروب .. / ففاض اللحن من فيها؟! /

فدلالات الألفاظ في (الخضرة) و(الطيور) و(السواقي) تشي بمدى أهمية هذا المكان لدى الشاعر؛ وكأنه مكان تنبّث منه الحياة والخصب، مقابل ما يشعر به في زمنه الحاضر من جذب يجعله روحه قلقاً نافرة من زمانه ومكانه الحاضرين. وبالتالي نلمس هذا الإحساس لدى الشاعر بأهمية بعث المكان الماضي؛ فهو يشكل له حياة، وتخلصاً من القلق والخوف الذي يعتري ذاته نتيجة الغربة، التي قد تقضي إلى الهلاك، يقول: (4)

أرنبو إلى الماضي وئيدا... / مستزيدا من هطول الذكريات على دمي. / استنبت الأرض البوار، / أرشها ببذار أحرف أغنيات ذابلات ، / فوق ما يرجو فمي.

إنّ روح الشاعر قلقاً نتيجة بُعدها عن المكان، ويبدو أنّ لها هذا المكان حظوة كبيرة؛ فهو مهد الطفولة وملاعب الصبا، فيطيل النظر في ذاكرة الماضي بتهمل وحسن؛ لعله يخفف عن روحه هذه الغربة.

ويمتد الشاعر أكثر في استحضاره للمكان الأول الأليف ( البيت ) ، فيتمنى الوقوف بين جنباته، ولعله في استحضار متعلقات هذا المكان من (الياسمين، وقوارير الأزهار، وشجرة الكينا، والمروج)، تعكس مدى شوق الشاعر لهذا المكان الأول، وتحسره لفراقه، كما يشي بمدى التصاقه بالمكان وتجذره فيه: (5)

يالهف نفسي إن وقتت بياسمين جفّ ، / في شرفات منزلنا .. / أو اختار العبيرَ طريقه ، / ليفرّ من قارورة العدم . / هذي الأغاني واحة لمواجعي ، / وقصائدي عرس الرياح ، / على ذرا ( الكينا ) ، / وأضلع سلمي / نحو الحبيبة إذ تحاورها المروج / بلون ما تهواه من شعر النسيب ، / إذا استخارات معجمي / هي نكهة الماضي / وقد حفلت بها الأيام .

(1) - منصور ، الأعمال الشعرية ( ج 2 / 119 )

(2) - الشلبي ، الأعمال الشعرية الكاملة ( ص 269 )

(3) - المصدر السابق ( 275 )

(4) - المصدر نفسه ( ص 267 )

(5) - الشلبي ، الأعمال الشعرية الكاملة ( ص 269 )

وبالتالي لا ينفك الشاعر محاولة الشاعر بعث المكان من جديد، من خلال استحضار مشهد النساء وهن ينثرن القمح ، بانتظار المطر، بانتظار عودة المكان كما كان سابقاً: (1)

العابراتُ إلى الحقولِ حملنَ أمّيتي ، / كقبضةِ حنطةٍ ، / وسألن عن شغفِ الغيومِ ، / بمهجةِ الغيثِ الحنونِ ، / وعن حكايةِ شاعرٍ ... ومُتَمِّمٍ . / ألفِ المدىِ باباً .. / نخيلِ هواه .

لقد شكّل حلم الشاعر هنا- في بعث المكان- توازناً نفسياً لذاته المغترّبة؛ فهو يحاول ألاّ تسلخه الغربة عن مكانه الأول الذي يمثل له الوطن والهوية. ولما كانت الحياة شديدة الصلة بالبعث أو الخصب، فقد مزج الشاعر بين حضور المرأة والمكان؛ ليقوي قيمة هذا الخصب، ويضفي عليه قدسية وجمالاً.

ويسمع الشاعر القيسي صوتاً يحيله إلى بلدته وقريته، فيمتزج صوت الاطفال مع الأم و الأغاني الشعبية، فيخفف من مصابه، ويعيد توازنه، ويغسل أوجاعه، ويروي ظمأ الغربة، يقول (2):

عيني على صوتِ يجي مُبلأً ، بندى الحقولِ / مطرُ الحنين يسحُ دقّاقاً، / على صحراءِ قلبي، غاسلاً وجّعي ،... / أعيدي ذاك الصوتَ ثانيةً ، وقولي : / ( يا ابن العمِّ يا ثوبي عَلَيَّ / انْ اجاك الموتُ لا رده بيدي / ابن العمِّ يا ثوبي الحريي / لا حطك فوق جناحي واطيري / واهدي فيك .. ع بُرج الخليلي )

ومن هنا يحلم الشاعر بالعودة إلى زمن الطفولة ومهد الذكريات، ولعل هذا الحلم له أهمية كبيرة في عودة الحياة للشاعر، أو إعادة التوازن النفسي من خلال هذا الحلم، الذي يحمل في طياته هذا الحنين للمكان الأول، إذ يمارس الشاعر مغامراته الطفولية بكل عفوية خليّ البال: (3)

أحلم أنا نترشقُ بالماءِ / ونلعبُ في رملِ الساحلِ / أحلم أنا نعبرُ بين الأشجارِ خفافاً / نتمرّج في الغصنِ المائلِ / أحلم أنا نصعدُ جبلِ الكرملِ ، / أحلم أنا نصعدُ جبلِ الكرملِ ، / أحلمُ أنا نركضُ خلفَ عصافيرِ الزرعِ ، / بلا طائلِ .

ومن هنا نجد الشاعر يتخلى عن المدينة من أجل العودة لوطنه، إلى المكان الحميمي كي يمده بالحياة؛ فقد أتعبه السفر والتجوال في المنافي، فهو يأمل أن يعود طفلاً، وكأنه لم يرتكب خطيئة الرحيل والفرار، يقول: (4)

أبيعُ المدينةَ / أبيعُ دفاترَ شعري ، وكلُّ حكايا الأماسي الحزينتُ / وآتي لأشربَ منْ حدقتيكِ ، شعاعِ الحياةِ / وأزهو بأني أعيش بأرضِ بلادي

ولعلّ ظروف المأساة وتوالي النكبات في العالم لعربي بعامة ومنطقة الأردن وفلسطين خاصة فرضت أجواء حزينة رثائية على الشعراء؛ إذ جسدوا هذه الأجواء بقصائد غنائية رومانسية مشحونة بالمرارة والأسى وعذابات المرحلة خاصة بعد نكبة 1948، فكثر شعر الحنين إلى الوطن، وانتشر شعر الغربة والمنفى والشتات والوقوف على أطلال الوطن، فسجل الشعراء أحزانهم وانفعالاتهم وآمالهم ومراثيهم وأحلامهم في قصائد وجدانية غنائية تفيض حزناً وألماً وقهراً وانتماءً إلى الوطن الذي شكل الوجود والاستقرار. (5) وتكثر هذه الظاهرة عند الشاعر إبراهيم الكوفحي؛ إذ يتوق إلى المكان الحميمي، مهد الصبا الذي مثّل ملاذاً لروح الشاعر من غربته وما تحويه من ألم وبُعد واغتراب، أو منغصات الحياة الكثيرة التي تعصف بالذات. ففي قصيدة (وقفه على الأطلال)، تتفصل الذات عن حاضرها، لتلوذ بالماضي، حيث المكان الأول، الذي يتسم بالصفاء والنقاء والجمال، فيبكيه الشاعر: (6)

كلما جنّت فاضت العينان

وتلظّت مشاعرُ التحنان

(1) - المصدر السابق ( ص 269 )

(2) - القيسي، الأعمال الشعرية ( ص 169-170 )

(3) - المصدر السابق ( ص 233-234 )

(4) - المصدر نفسه ( ص 118 )

(5) - الزعبي ، أسلوبيات القصيدة المعاصرة ، دراسة في حركة الشعر في الأردن وفلسطين ( ص 53 )

(6) - الكوفحي ، الأعمال الشعرية ( ص 125-126 )

لا تلوّموا إذا وقفْتُ طويلاً  
 باكياً ... في السهولِ والوديانِ  
 لستُ أبكي على (أبان) (1) ولكنْ  
 أنا أبكي عهد الصّبا في (أبان)  
 ... وعشايا كأنّها بسماتُ الفجرِ  
 في رقّةٍ وعطرِ ثواني  
 ذكرياتٌ لما تزلُّ في كتابِ  
 العمر تزهو في صفحة العنوانِ  
 إنّما العمرُ ساعةٌ من صفاءٍ  
 وسرورٍ ، تشاقها كلّ أن  
 ليس من عُمرِكَ السّنونُ تقصّتْ  
 وتوارثتْ في تربةِ النسيانِ

و واضح هنا أنّ الزمن أو العُمُر عند الشاعر الكوفحي ليس بمقدار عدد السنين، وإنّما بمقدار بقاء هذه السنين في الذاكرة والوجدان. كما أنّ قيمة المكان وحضوره ليس ببعده المادّي وإنّما ببعده النّفسي، وما يحتضنه من ذكرياتٍ جميلةٍ تظلّ حيّة في النّفْس .

### ثالثاً : المنفى

المنفى ليس مكاناً فحسب؛ بل هو زمن وإحساس يتغلغل في النفس، ومعاناة تتجاوز الجسد إلى ما بعده، وتتجاوز الفرد إلى المجموع، والحاضر إلى الغائب التاريخي والتراثي، وتتخطى الحاضر المشهود إلى المستقبل، وهو يعبر عن حالة القهر واستيلاء المعتدي على ممتلكات المنفى المادية، وحرمانه من حقوقه في المكان والمواطنة والحرية. (2)

لقد عبّر الشعراء الأردنيون عن حالات الضيق والقهر والألم واليأس بسبب المنفى، الذي شكّل بعداً نفسياً أرقّ الشعراء، وأفظّ مضجعهم، إذ نرصد الإحساس بالخوف والقلق، والشعور بالهلاك في هذا الفضاء الضدّ، الذي مزّق نوات الشعراء، وبعثّر أمنياتهم وأحلامهم في العودة، حتى أن بعضهم، تولّد في نفسه الشعور بلعنة هذا المنفى تطارده، وآخر وجده فضاء يحقّه الموت والفناء . وهذه الرؤية غالباً ما تولّدت عند الشعراء الأردنيين من أصول فلسطينية ؛ إذ عانوا من ويلات التشرد والضياع، ونظروا للمنفى، بوصفه فضاءً خارجياً نقيضاً للوطن المكان الأول، نظرة قلقٍ وخوف.

ولعلّ العزازي من الشعراء الأردنيين الذين عبروا عن حالة الضيق واليأس في المنفى، إذ تتمزق ذات الشاعر، ويعتريها اليأس، وتتشظى بين الشوق لمدينة عمان، وبين المنفى الذي استحكم عليه، حتى أمسى في جزيرةٍ نائيةٍ بعيدة موعلة في الوحشة والبُعد. يقول: (3)

كلما فاضتْ بي الأشواقُ صاحَ اليأسُ بي: أين المفرُ؟ / حولك البحرُ / وحول البحرِ أشواكُ ... وغيلان... وصخرُ / ومغازات  
 وراء الشوكِ... في أحشائها تيةٌ وجمرُ

ويبدو أنّ غربة العزازي هي غربة رومانسية؛ فهو هارب من محيطه المادي الذي يعيش فيه في مدن هولندا، حالم بما يسدّ فراغ روحه الذي لا يجده إلا في عمان؛ فيصور نفسه في هذه الغربة مفرداً في جزيرة تحيطه حواجز كثيرة تمنعه من الخلاص؛ فيشعر باليأس،

(1) - أبان : بلدة الشاعر في مدينة إربد شمال الأردن .

(2) - انظر زرقة ، المنفى وتجلياته في الشعر الفلسطيني (ص2)

(3) - العزازي ، عيون سلمى (ص 45)

ويشبه ظرفه بظرف طارق بن زياد، عندما قال جملته الشهيرة ( أين المفر؟)؛ ليجعل دلالة قصيدته المعنونة (أين المفر؟) تشي بأزمة الشاعر في الغربة (1).

في حين نجد عبد الرحيم عمر يعبر عن حالة الضياع والتشرد بسبب الغربة والمنفى؛ إذ يتضح مرارة الشاعر بسبب هذا التجوال في المنافي، هذه الرحلة التي لا تنهي من التشرد. ويبدو أنّ هذا الإحساس يتسرب إلى الشاعر ليلاً عندما يهجع الجميع؛ فتختلط مشاعر الوحدة والغربة والقهر؛ فتجعل الشاعر يندب حظه: (2)

وحين تعود الطيورُ إلى وكُناتِ المساء / ويكْبُرُ صمْتُ المساء / وتخلو الشوارع من عابريها / يجن حنيني إليك فأبكي / وأصرخ  
بالدرب والصمّت والغائبين / أليس من العدل يا رب أن يستريح المسافر ؟ / فقد ملَّه الدربُ والظّلُّ والليل / مل الصّحابة حنينه /  
وضاقت به الغربة المستكنة

وبالتالي نجد أنّ المنفى عكس حالة الضياع الأبدى؛ إذ يوحي بالفناء والموت من خلال استحضار دوال الريح والصحراء ، التي غطت دروب الشاعر، وبات الضياع قلقاً يهدد مصيره: (3)

فالريح والصحراء غطت دربك الدامي، وكملت النّدا/ مات الرجاء، ولا مناص/ ضاع الطريق ولا صدى، عبر المدى/ ضاع الطريق.  
ويعكس المنفى الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، فقد جرّب كلّ المنافي ولم ينل منها سوى الإحساس بالقهر والنّذل والإضطهاد،  
ويقول: (4)

ومثلك بل ربما أكثر / عرفت صنوف الإهانة والنذل والقهر والإضطهاد / وجربت كلّ المنافي وكل البلاد / وعاشت قهري حتى غدا  
القهر زادي وعاري / وعلة صوتي إذا قمت انشد .

ونجد هذا المعنى يتكرر عند عبد الله منصور؛ فالمنفى غربة، ونذل، وجوع، وقهر، يقول: (5)

أيا وطني .. / بعيد عنك أشكو غربتي للبحر والميناء / وأحفر طيفك الغالي على وجهي... / وفي ريقني مذاقٌ مذلة الغرباء /  
أدندنُ لحن أغنية كلون الجوع والتعساء .

وهذا المعنى للمنفى نجده عند محمد القيسي؛ فالصحراء الممتدة غير المنتهية، المفضية إلى الموت، هي الوجه الآخر للمنفى ،  
ومن هنا يستشعر الشاعر الموت البطيء في هذا الصحراء ( المنفى )، نتيجة الضياع ، لذلك يحاول أن يغني أغنيته الأخيرة : (6)  
للتواني خُطوةً المثلث بالغربة والموتِ البطيء / آه من أين يجيء؟ / كلُّ هذا الحزن يا حبي الذي كان يُضيءُ / هذه الصحراءُ لا  
تفضي لبابٍ ، / وأنا أبحث عن أسماءٍ من ماتوا لأنني / ربما يمهلني الموتُ قليلاً فأغني  
كما يحمل المنفى دلالة الجذب والموت والقهر، يقول : (7)

لا تطلق العنان / لحزنك الجموحُ / فهذه الصحراءُ / لا ظلَّ لها ، لا أنداءُ / لا عُشبُ في السطوحُ / فهل تُطيقُ شربَ قهوةٍ  
النسيانُ !

كما يعبر القيسي عن حالة الضياع التامة ، والقهر والألم في المنفى؛ فهو أشبه بالليل السود التي مرّت على الشاعر، إلا أن  
وحشته تزداد عندما يجد المكان الأول قد أصابه التحول، فهو أصبح كالمنفى؛ فلا مأوى ، ولا زاد ، ولا أحبة ؛ فتزداد لياله سوادا  
عما كانت عليه، يقول (8):

(1) - انظر عباط ، حامد كساب ، صورة عمان في شعر حن بكر العزازي (ص 67-68)

(2) - عمر ( عبد الرحيم ) الأعمال الشعرية الكاملة ( ص242)

(3) - عمر ( عبد الرحيم ) الأعمال الشعرية الكاملة ( ص33)

(4) - المصدر السابق 243

(5) - منصور ، الأعمال الشعرية ( ج1 / 159 )

(6) - القيسي ، الأعمال الشعرية ( ج1 / 175-176)

(7) - المصدر السابق ( ج1 / 217)

(8) - المصدر نفسه ( ص61)

وَعُدْتُ إليكم عبر الليالي السودِ من منفاي/ أقاسي خيبة الآمال ، أبحث عن أحبتي الذي طواهم الغدر/ على جسر الدموع ،  
وجدتكم، لا ظلّ، لا مأوى / ولا زادٌ ، ولا سلوى

وتتضح جدلية المنفى والوطن، التي تقابل الموت والحياة أكثر في شعر محمود الشلبي؛ إذ تتشظى الذات بين هذين القطبين، بين الحنين للوطن (الحياة)، والمنفى (الموت)، بين ضياع الهوية، والعودة إلى الجذور، يقول (1):

مَنْ يمنحني وجهي المسروق ... ويأتي؟! / من يزرعني في حضان بلادي ، / نبتة لوزية؟! / من ينقشني في اسواركِ وشماً /  
للعود الآتي؟! / قطعة خبز أبدية. / من يا وطني يصلبني في باب مدينتنا ، / عصفورا في زمن الموت؟! / نورس بحرٍ اعياه  
التحليقُ ، / بأرض النفي ، تنهد في زاوية الويل ، / تنفض ... رف على وجه البحر المتوحد ، / في تهليله شوق مذبح ، / من  
يا وطني يغرسني سوسنةً / في وجه الأفق الطالع في المنفى؟! ..

ومن هنا يتضح مدى هذا الإحساس بالألم والمرارة والاعتراب في المنفى؛ إذ نجد هذا الإحساس العميق بالتشرد وبالضياع وبالقهور في بنية الأمل، تقوم على التمني الخائب بسبب المنفى؛ فهو يتمنى أن يتوحد بالمكان، كزهرة لوز، أو عودة عصفور، أو أياب نورس، ولكن هيهات!

ولعلّ هذه الجدلية بين قطبي المنفى والوطن، تعكس وجهاً آخر للمنفى، يتمثل في الخواء الروحي والوحدة والوحشة، والتشرد، يقول (2):

نائية أشجار الساحل / نائية حيفا/ وقطارات المنفى / أهلة بالوحشة والحب القاتل/ ها أنت بعيدٌ / ووحيدٌ ، / تدرعُ أرصفة المدن  
العربية أغصانا مُثقلةً بالثمر الممنوعُ

وقد يأتي المنفى ضمن دلالات أخرى توحى بالضياع والموت، مثل السراب في الصحراء، أو سفن في البحر، أو التسكع على الأرض، أو شواهد القبور، مما يوحي بالألم والقهور والضياع واليأس والموت: (3)

لماذا نظلّ انحناء الرؤوس ، / وشكل السراب؟! / لماذا نظلّ بميناء هذا الزمان ، / سفينا تحطم فوق العباب؟! / ورسمنا  
بصحراء عمر طواه اليباب / لماذا؟! / لماذا نظلّ التسكع، والوشم/ فوق القبور؟! /

ومن هنا تبرز الذات متشظية مأزومة قلقة نتيجة المكان (المنفى)؛ إذ يشي بدلالات الضياع والقهور والتمزق والخراب، وكأن هذه الذات تتشظى عن الجسد؛ فالروح تحوم قلقة، والدم صارخ في البراري، ومسفوك في الصحاري لا يعلم به أحد (4):

روحي تُحوم في فلك لا يبين / ودمي صارخ في البراري / دمي مُوغل في الصحاري / حزين / أي عمر أُورعه في المقاهي ،  
وتحت سقوف الخراب

وهذا الإحساس بالفناء والموت يقلق الشاعر عبد الله منصور؛ مما يوحي بالخوف على مصير الإنسان الفلسطيني بسبب المنفى: (5)

فالطيور طوت كل أجنحةٍ / وتكسر صدر الرياح / فهذا الفراغ مخيفٌ نُطفتنا الواعدة

وقد نجد هذا المنفى يمثل حالة حصار، لا فكاك منه؛ مما يعمق الإحساس باليأس (6):

آه يا وجهي المُحنى / بتراب الوطن / لم يزل يعضرك البعد على أرض المنافي/ ويغطيك بعشب الشجن  
وأغانيك انتظار/ ورحيلٌ من مدارٍ لمدار... / فمتى تخرج من هذا الحصار؟! / فمتى تخرج من هذا الحصار!؟

(1) - الشلبي، الأعمال الشعرية (ص 37-38)

(2) - القيسي، الأعمال الشعرية (ج1/243)

(3) - الشلبي، الأعمال الشعرية (ص 55-56)

(4) - القيسي، الأعمال الشعرية (ج1/459)

(5) - منصور، الديوان (ج1/441)

(6) - القيسي، الأعمال الشعرية (ج1/133-134)

ويشكل المنفى لدى الشاعر إبراهيم نصر الله مظهرًا من مظاهر القلق الوجودي الدائم، الذي يهدّد مصير الإنسان الفلسطيني، لكنه يقرّ أخيراً بحالة اليأس من عدم القدرة على الانفكاك منه؛ فقد سلبهم كلّ شيء؛ سلبهم الحاضر والماضي، حتى حلم الرجوع؛ وكأنّ المنفى شكّل وجهاً آخر للموت، موت هذا الإنسان الذي عانى طويلاً من هذه تجربة القاسية والمريرة، ففي قصيدة (القديس) يستحضر الشاعر الأبّ رويًا له تجربة هذا الإنسان، يقول: (1)

بعيداً إلى آخر الأرضِ سرنا / وجردنا الموتُ من موتنا / حين لم يبقَ - يا أبتى - من عدو لنا / غير هذي الظلال الفقيرة مثل  
الرماد / وجردنا من طريق الرجوع إلى البيت في أعالي البلاد/ ومن كلّ منفى هبطنا عليه نهارا / وباغتنا بحداد / وجردنا من  
حنينٍ إلى ما مضى / وحنينٍ إلى ما يجيء

ومن هنا نفهم ما يسيطر على الشاعر من إحساس باليأس ، واللجوء أمام سطوة المنفى ؛ وكأنّ هذا الإنسان ولد بلا وطن، بلا مكان، بلا زمان. ويزداد الألم عندما يشعر بالضيق يتجدد، وكأنه حلقة مفرغة، وخاصة عندما يتنكر له الآخرون ، يقول (2):  
المنفى !!! / لم يكن أكثر من مرآة ، / صورنا فيها أجل/ ولكن ، لا وجود لنا خارجها . / منفيون كما لو أننا لم نملك وطننا ذات  
يوم / فعلي أي صدر يمكن أن نلقي رؤوسنا / علي أي صدر ؟

ويبدو أن هذا القلق الوجودي الناتج عن الخوف من الضياع ، وبالتالي الفناء في المنفى، بعيداً عن الوطن (الهوية)، محفوفاً دوماً بطابع اليأس والخيبة ، تقول سلوى السعيد: (3)

ماذا لديّ / سو استلاب العمر / في الطرقات يا وطني ، / وهذا الشيب / يضرع للتراب ؟ / ماذا أقول / مُضَيِّعٌ وجهي / يدور على  
رحى الأسفار / تلفظه الموائئ / نورسي

ويقترب المنفى بولادة الشاعر محمود الشلبي، كأنه ولد معه؛ إذ رافقه هذا الشعور بالافتقار من وطنه والتهجير من أرضه، فغداً المكان أشبه له بالمنفى؛ إذ غيروا معالمه، وبدأت رحلة الخيام والضياع والمنفى أمام ناظره: (4)

ولدت بساحل منفاي ، / كالسيف جُرد من غمده . / ولدت وفي العين وهجُ القبائل، / والنار ... وهجُ احتراق . / وفي الأذن وقع  
( البساطير ) ، صوت الهراوى، / وفرقة الهاربين / وفي القلب خيمةٌ ليل، / ومفرزةٌ من عيون القبائل والمبعدين. / فيا وطننا قام  
بين النخاع ، وبين العظام / ويا قريةً من قرانا غيروا رسمها . / ويا كرمهً من كروم الخليل ، / التي سلبوا طعمها . / ويا شجرا في  
جبال الجليل بكى / ويا ساحلا في عروق المنافي ابتدا .

وإذا ما نُظر للزمن في المنفى، نجده زمن سالب، إذ يهدّد جسد الشاعر القيسي، وتشريح روحه، رغم صوت الطفولة الذي ينزّ من أعماقه نحو المكان الأليف، لكن الواقع مرير أمام هذا الاستلاب بسبب الزمن الحاضر؛ فهو لم يعد يتلهى بمطاردة العصفير، وكأنّ الشاعر يرثي ذاته الطفولية، يقول (5):

لم أعد أتلهي وراء العصفير، / شخّث، / وظلت معي طاقة من زمان الطفولة ، / تهتف بي أن أعود طويلاً / وأهتف من دار منفاي  
أهتف، / ليتّ / الزمان / يعود / قليلاً .

وتختلط مشاعر الغربة والوحدة والفراغ عند حيدر محمود ؛ إذ يتحول الزمن البطيء إلى غول يفتك بالشاعر بسبب عجزه عن التأقلم مع المكان، أو الإنسجام مع ناسه، فهو منعزل ، وحيد كأنه في سجن ، مما يجعله يشعر ببطء الحياة وكأنها تتجه به إلى الموت ، يقول (6) :

(1) - نصر الله ، لو أنني كنت مايسسترو ( ص 214 )

(2) - المصدر نفسه ( ص 195 )

(3) - السعيد ، صرخات على جدار الصمت (ص74)

(4) - الشلبي ، الأعمال الكاملة ، ( ص 84 )

(5) - القيسي ، الأعمال الشعرية (ج 2 / 233 )

(6) - محمود ، ( حيدر ) الأعمال الشعرية ( ص 289 )

الغربة مرة .. / والشاعر ( حين يغيب عن الأصحاب ) / يحفر قبره .. / الليل هنا .. / قبرٌ يدفن فيه الشاعر نفسه! / الليل رهيبٌ مثل الموت.

ويشكل المنفى لدى الشاعر عمر أبو سالم مرحلة مستمرة نحو تأزم الذات ؛ فتغدو الذات ممزقة تعاني الانكسار والضيق والاستلاب ؛ فلا تهنأ بالحياة ، ولا تنق طعم الراحة والسعادة؛ بسبب هذا القلق الناجم عن استمرار المنفى (1) ؛ غيوم المنافي / في ترحل / وأغيتي ترتد مثل صفيح قاطرة على الأفق / تنوح على شفاهي كلما أرسلتها تنأى/ بعيدا في مدى طريقي/ فلا آثار خطوي تبلغ الأرض التي ارتحلت / وليل أحبتي ضاقت به السبل.

ويبدو أنّ هذه الذات الممزقة تعاني الانشطار بين النفي والعودة، بين الرحيل والبقاء، ولكنها في النهاية تدرك هذا العجز في اتخاذ قرار الرحيل والعودة للوطن (فلا آثار خطوي تبلغ الأرض التي ارتحلت) .

ويرى إبراهيم خليل أن غربة عمر أبو سالم هي غربة مصدرها البعد عن الوطن، وهو بعد له طابع النفي القسري... والرحيل الاختياري، وهذا التناقض يتيح للشاعر أن يراوح بين معنيين، الأول تجوز تسميته (غربة) بمعنى البعاد عن الوطن، والثاني (الاغتراب) وهو الإحساس بأنه غير قادر على التأقلم في منفاه. (2) .

ويبدو أنّ الشاعر يعاني من الغربة والاعتراب بسبب بعده عن وطنه منذ سنين طويلة ؛ فهو لم يستطع أن يتأقلم في إقامته خارج وطنه حتى أصبح منفي لا يطاق. ومن هنا وجد الشاعر بأن رحلته الطويلة في المنفى كانت خطأ، بل أشبه بالكذبة؛ وهو الآن يدفع الثمن: (3)

ها مضى العمر. وحدي أغدّ الخطى / عبر رحلتي الكاذبة / عتمة تخطف الضوء مني / وشمس الأحبّة منذ افترقنا صباحاتها غاربة

فالعمر مضى، وقد استبدت به الوحدة، والمنفى عتمة وظلام خطف من الشاعر الضوء (الحياة)، كما خطف منه الوطن، وإن شئت فالمنفى فضاء مزيف؛ خطف من الشاعر الحقيقة والصواب، والعودة للوطن. وبالتالي يقترب الشاعر بهذا الإحساس إلى الشعور بالإحباط وهذا الاستلاب بسبب المنفى وكأنه أصبح لعنة تطارده .

ونجد مشاعر الخيبة والإحباط والحزن والوحدة تسيطر على الشاعر زياد العناني؛ فهو بعيد عن أرضه ووطنه، إذ يضعنا أمام هذه الذات الممزقة نتيجة اليأس في جوٍ من القلق والدّعر والخوف: (4)

زيتونة جدي مرتعشة / وأنا / قلب مذعور / أتساقط في صمغ الوحدة / وجهي مرآة حزني والحلم طريق مسدود / والليل طويل .. ولعلّه يقصد بالحلم، حلم العودة إلى وطنه، والاحتلال كأنه ليل يطول، منتظراً فجرًا يردّ له الحياة، ولكن هيهات أمام هذا الواقع المرير. لذلك نجد هذه النغمة اليائسة تتردد في جميع أركان القصيدة لتصبح بؤرة مكثفة يصدر عنها هذا القلق والخوف، والعبث من عودة الزمان والمكان المأمولين .

ويصل الشاعر إلى حدّ التوتر؛ فتغدو الذات مأزومة قلقه تعاني التمزق في المنفى، فالحزن والأسى، يصيبان الشاعر بالشيخوخة والعجز، لذا يحلم بقدم ( ليلي ) الوطن: (5)

يأتي هذا الحزن اللعنة/ كيمام يهدل فوق شجيراتي الهرمة / ويحاصرني قلبا روحا حرفا كلمة / فمتى يرحل عني ومتى تأتي ليلي / شفقا .. ألقا -لونا من ألواني

ويلحظ أن جميع مفردات المقطوعة الشعرية توحى بهذا اليأس والخيبة والعبثية من عودة ليلي الحلم، والتي قد يرمز بها إلى الوطن؛ فالحزن، واللعنة، والحصار، والهرم، تجعل من سؤاله محط عبث، وكأن المنفى أمسى لعنة أبدية.

(1) - أبو سالم ، الأعمال الشعرية ( ص 190 )

(2) - خليل ، من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن ( ص 253 )

(3) - المرجع السابق ( ص 158 )

(4) - العناني ، إرهافات من ناعور (ص9)

(5) - العناني ، إرهافات من ناعور ( ص 15 )

ولعلّ حالة الفقد التي تعاني منها ذات الشاعر تجعله أكثر قلقاً، وخاصة عندما تبرز صورة الوطن بالمرأة (الوطن)؛ فهو مستلب الحياة، والزمان، والمكان، حتى الموت؛ لأنه في المنفى. يقول: (1)

ليس لي بلدٌ / ليس لي قبرٌ / وليس لي حتى امرأةٌ / إذا متُّ / تركض في الفراغ / مبددةً / نعيها.

وعند ناصر شبانة، تمتد غربة الشاعر في رحلة البحث عن الذات إلى التضخم والتأزم، عندما يدرك تماماً هول مصيبتة؛ فالذات الضائعة تتحد مع الضمير الجمعي للإنسان؛ لينتقل الشاعر إلى تجربة شعورية أكثر شمولية وإنسانية؛ عندما يصبح الضياع والفناء قلقاً وجودياً يهدد الإنسان؛ فالإنسان الذي لا وطن له ولا ذكريات، كأنه غير موجود: (2)

وأنا الغريب أنا الغريب / قولي لقلبي أن يخاصم طائعا / مدن النحيب / ما عاد يا الله لي زمنٌ / ولا وطنٌ / ولا فتحٌ قريبٌ .

ويعني السؤال عند شهلا الكيالي عن قلق وجودي بسبب الضياع، والتشرد، وكأنّ الأقدام علقت في المسافات الشاسعة في المنفى؛ فديوانها يعبر عن رحلة البحث عن ذاتها، فالعنوان (وجهي الذي هناك) يحيل إلى تلك التجربة الشعورية التي رواحت بين رثاء الأخت ورثاء الذات، وكأنّ هذه التجربة دفعت الشاعرة إلى اكتشاف عبثية الحياة؛ فلا قيمة لها أمام حركة هذا الزمن نحو التحوّل والاستلاب، إذ نستشعر ضياع ذاتها التي غالباً ما تتحد مع رحيل الأخت وضياع الوطن، حتى غدت تعيش حالة نفي مستمرة، تقول: (3)

علقت خطانا في المسافة / وانتهينا للسؤال / وللمنافي / ها أنت ترحلين ضوءاً في الفيافي /  
تتركين بنا المودة / ليس في يدينا سوى / حبل الأنين / هل ترجعين؟؟

### الخاتمة

يتبين لنا من خلال هذا البحث أن ظاهرة الاغتراب برزت بشكلٍ لافتٍ في الشعر الأردني الحديث، وخاصة الاغتراب المكاني، إذ رصد البحث صور هذا الاغتراب في ثلاثة أشكال: الموقف من المدينة، والحنين إلى المكان، والمنفى. كما كشف البحث عن مواقف الشعراء ورؤاهم وانفعالاتهم التي رافقت طرائق تعبيرهم عن هذه الظاهرة؛ إذ يُلتَمَس هذا الإحساس العميق بالوحشة والوحدة في المدينة، بوصفها فضاء ضداً للمكان الأول الحميمي سواء القرية أم البيت، كما يتضح هذا الحنين لهذا المكان الأول الذي مثّل للشعراء الجمال والصفاء والهوية. أما المنفى، فقد كشف البحث عن الحالة النفسية التي اعترت هؤلاء الشعراء المتمثلة بالضيق من المنفى والشعور بالضياع والنتية والوحشة والهلاك والموت.

### المصادر والمراجع

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ( 711هـ ) لسان العرب، تعليق: علي شيري، ط 3، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د.ت)
- ابن ناجي محمد، لخضر، (2013) الاغتراب .. الشاعر .. المدينة، مجلة الحكمة، ع17، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر .
- أبو سالم، عمر ( 1999 ) الأعمال الشعرية، ط1، بيروت، دار العودة .
- اسماعيل، عز الدين ( 1981 ) الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط3 دار العودة، بيروت .

(1) - العناني، شمس قريبة ( ص13)

(2) - شبانة، سفر يليق بقامتي (ص58)

(3) - الكيالي، وجهي الذي هناك (ص26)

- أبو زيد ، أحمد ( 1979 ) الاغتراب ، مجلة عالم الفكر ، ع1، مج 10، الكويت.
- أبو غالي ، مختار ( 1995 ) المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، ع 196.
- الأزهري ، محمد بن أحمد الهروي ( 1964 ) التهذيب ، ج8 ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- الأصفهاني ، أبو الفرح ( 1972 ) ، أدب الغرباء ، بيروت ، دار الكتاب الجديد .
- بخضرة ، مونس ( 2009 ) تاريخ - الوعي مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع ، ط1، منشورات الاختلاف ، الجزائر.
- بركات، حلیم (2006) الاغتراب في الثقافة العربي: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية
- بركة، الأخضر ( 2002 ) الريف في الشعر العربي الحديث: قراءة في شعرية المكان، دار الغرب، وهران
- بريشي ، مريامة ( 2015 ) الاغتراب : مفهوم ودلالات ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة قصدي مرياح - ورقلة- الجزائر ، ع 18 .
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ)، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام هارون ج 8 ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، 1981.
- بلاشر، غاستون ( 2000 ) جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسة ، بيروت ، المؤسسة الجامعية .
- بلاطة عيسى يوسف ( ١٩٦٠ ) الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، بيروت، دار الثقافة .
- بنت الشاطيء، عائشة عبد الرحمن (1970) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، مصر.
- النتل، محمود فضيل ( 2006 ) الأعمال الشعرية ، عمان ، دار ورد للنشر و التوزيع .
- التوحيدي ، أبو حيان ، علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي (ت 414 هـ) ، الإشارات الإلهية ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار الثقافة ، 1973 .
- التوحيدي ، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي ، (ت 414 هـ) ، البصائر والذخائر، تحقيق : محمد السيد عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ( د.ت)
- جعفر ، محمد راضي ( 1999 ) الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر "مرحلة الرواد"، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب .
- جواد ، نهى عباس ( 2006 ) الاغتراب في النص المونودرامي العراقي، رسالة ماجستير ،كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل.
- الجوزية ، ابن القيم (751هـ) ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، مدارج السالكين ، ج3 ، ضبط عبد الغني محمد علي الفارسي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية
- حماد ، محمد حسن حماد ( 1995 ) الاغتراب عند إريك فروم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
- خليفة ، محمد عبد اللطيف ( 2003 ) دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب ، القاهرة
- خليل، إبراهيم ( 2006 ) من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن، ط1، عمان، دار مجدلاوي
- الدروع ، قاسم ( 2008 ) قراءة نقدية في تجربة حبيب الزبيدي الشعرية ، مجلة دراسات -العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، مج35، ع2.
- رجب، محمود ( 1988 ) الاغتراب : سيرة ومصطلح، ط3، الإسكندرية ، منشأة المعارف المصرية
- رضوان ، عبد الله ( 2001 ) شهقة من غبار، الأعمال الشعرية ، عمان ، دار الكندي للنشر .
- زرقة ، يوسف ( 2003 ) المنفى وتجلياته في الشعر الفلسطيني ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، مجلة الجامعة الإسلامية ، مج11، ع 1.

- الزعبي ، أحمد ( 2007) *أسلوبيات القصيدة المعاصرة ، دراسة في حركة الشعر في الأردن وفلسطين (من 1950-2000)* عمان، دار الشروق .
- الزعبي ، زياد(2007)*عشبات وادي النابلس : ديوان مصطفى وهبي التل ( عرار ) ، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن .*
- زلوم ، حمودة ( 2001 ) *المدينة في الشعر الأردني ، عمان - الأردن .*
- زيادة ، معن (1986) *الموسوعة الفلسفية العربية ، ط1، مج1 بيروت، معهد التاريخ العربي .*
- زيودي ، حبيب ( 2009 ) *ناي الراعي ، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن .*
- السيول ، تيسير ( 1980 ) *الأعمال الكاملة ، دار ابن رشد ، بيروت .*
- السيد، إسماعيل محمد( 2001 ) *بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الشارقة، دائرة الثقافة.*
- شاخنت ، ريشارد (1980 ) *الاغتراب ، ترجمة كامل يوسف حين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .*
- شبانة ، ناصر(2005 ) *سفر يليق بقامتي ، ط1 ، دار أزمنة للنشر ، عمان*
- الشتا ، السيد علي ( 1997 ) *الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة الإشعاع .*
- الشلبي ،محمود ( 2007 ) *الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، عمان، جامعة البلقاء التطبيقية*
- العامري ،عمر حسن(2011) *الاغتراب في شعر محمد القيسي،رسالة ماجستير،جامعة اليرموك، الأردن.*
- عباس، فيصل ( 2008 ) *الاغتراب - الإنسان المعاصر وثقافة الوعي، ط1، بيروت،دار المنهل اللبناني*
- عبدالسلام ، سهير( 2003 ) *مفهوم الاغتراب عند هيربرت ما ركيوز ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .*
- العزازي، حسن بكر( 1983 ) *عيون سلمى ، عمان ، دار البتراء للنشر والتوزيع*
- عقاق ، قادة ( 2001 ) *دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر - دراسة في اشكالية التلقي الجمالي للمكان، دمشق ، اتحاد كتاب العرب.*
- عقرباوي، حاكم ( 2008 ) *حجر وديع في مدن قريية من اسمها ، دمشق ، الهيئة العامة السورية للكتاب*
- عمر، عبد الرحيم ( 1989 ) *الأعمال الشعرية الكاملة ، منشورات مكتبة عمان .*
- العناني ، زياد ( 1988 ) *إرهاصات من ناعور .*
- العناني ، زياد ( 2006 ) *شمس قريية ، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .*
- عنبتاوي ، دلال ( 2014 ) *تجليات المكان في شعر إبراهيم نصر الله ، رسالة دكتوراة ، جامعة اليرموك .*
- عياط ، حامد كساب ( 2007 ) *صورة عمان في شعر حن بكر العزازي ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة*
- ، الأردن ، مج3، ع 4
- الفزاع ، علي ( 1996 ) *الأعمال الشعرية ، ط1، عمان ، وزارة الثقافة ،الأردن*
- فهمي، ماهر حسن ( 1969 ) *الاغتراب في الأدب العربي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مصر ، ج 25.*
- القيسي ، محمد ( 1999 ) *الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2، بيروت*
- الكبالي ، شهلا ( 1997 ) *وجهي الذي هناك ، عمان ، وزارة الثقافة .*
- الكيلائي ، رشيد زيد ( 198 - ) *ديوان زفرات الذكرى ، عمان.*
- لافي ، محمد (2005) *لم يعد درج العمر أخضر، سلسلة إبداعات، وزارة الثقافة ،الأردن - عمان*
- المجالي ، محمد شاهر ( 1993 ) *الثورة والاغتراب في شعر الشاعر مصطفى وهبي التل ( عرار )، مجلة مؤتة للبحوث*
- والدراسات - العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج 8، ع 6 .
- محادين ، خالد ( 1990 ) *الأعمال الشعرية ، ط1، عمان ، المؤسسة الصحفية الأردنية الرأي .*

- محبك ، أحمد زياد ( 1996 ) *الشاعر والمدينة : قراءة في نص شعري* ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مج 15 ، ع 4
- محمود ، حيدر ( 2001 ) *الأعمال الشعرية* ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت .
- المساعفة ، مجدولين ( 2014 ) *صورة الوطن في شعر حبيب الزبيدي* ، جامعة الشرق الأوسط ، الأردن ، رسالة ماجستير .
- مسلم بن الحجاج ( 2006 ) *صحيح مسلم* ، تحقيق ، نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة ، دار طيبة .
- المصلح ، أحمد ، *الهم الإنساني في الشعر العربي في الأردن: مصطفى وهبي التل (عرار) نموذجاً* ، مجلة إضاءات .
- منصور، عبد الله ( 1993 ) *الديوان* ، ط 1 ، عمان ، دار الكرمل للنشر والتوزيع .
- منصور، عبد الله ( 1993 ) *الديوان* ، ج 2 ، ط 1 ، عمان ، دار ورد للنشر والتوزيع .
- مؤنس ، حبيب ( 2001 ) *فلسفة المكان في الشعر العربي : قراءة موضوعاتية جمالية* ، منشورات اتحاد الكتاب .
- نجم الدين ، كمال ( 1978 ) *المكان في النص الشعري* ، بيروت ، دار الكتب العلمية
- نصر الله ، إبراهيم ( 1994 ) *الأعمال الشعرية* ، ط 1 ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
- نصر الله ، إبراهيم ( 2009 ) *لو أنني كنت مايسترو* ، بيروت ، الدار العربية للعلوم
- نصرالله ، إبراهيم ( 2007 ) *حجرة الناي* ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- النصير ، ياسين ( 1985 ) *إشكالية المكان في النص الأدبي : دراسات نقدية في القصة والشعر* ، بغداد دائرة الشؤون الثقافية .
- النوري ، قيس ( 1979 ) *الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً* ، مجلة عالم الفكر ، مج 10 ، ع 1 .
- الورقي ، السعيد ، ( 1991 ) *الموقف من المدينة في الشعر العربي المعاصر* ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .
- يوسف ، محمد عباس ( 2004 ) *الاغتراب والإبداع الفني* ، دار غريب للنشر .

#### Sources and reference

- Abbas, Faisal (2008) *Alienation - Contemporary Man and the Misery of Consciousness* (in Arabic). Edition 1, Beirut, Lebanese Dar Al-Manhal.
- Abdel Salam, Suhair (2003) *The Concept of Alienation by Herbert Ma Raccues* (in Arabic). Alexandria, University of Knowledge.
- Abu Ghaly, Mukhtar (1995) *The City in Contemporary Arabic Poetry* (in Arabic). The World of Knowledge Series, vol. 196.
- Abu Salem, Omar (1999) *Poetry Works* (in Arabic). 1st Edition, Beirut, Dar Al Awda.
- Abu Zaid, Ahmad (1979) *Alienation* (in Arabic) . Alam Al Fikr Magazine , No. 1 , Volume 10, Kuwait.
- Akak, Leaders (2001) *The Significance of The City in Contemporary Arab Poetic Discourse - A Study of the Problematic Aesthetic Reception of Place* (in Arabic). Damascus, Union of Arab Writers.
- Al-Amiri, Omar Hassan (2011) *Alienation in the Poetry of Muhammad Al-Qaisi* (in Arabic). MA Thesis, Yarmouk University, Jordan.
- Al-Anani, Ziad (2006) *A Close Sun* (in Arabic). Edition 1, Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing .
- Al-Anani, Ziyad (1988) *Insights from Naour* (in Arabic).
- Al-Azhari, Muhammad Ibn Ahmad Al-Harawi (1964) *Al-Tahdheeb* (in Arabic). Volume 8, Cairo, Egyptian Publishing House.
- Al-Azzazi, Hassan Bakr (1983) *Salma Eyes* (in Arabic). Amman, Petra House for Publishing and Distribution.

- Al-Baghdadi, Abd al-Qadir bin Omar (1093 AH) , the Treasury of Literature and the Core of the Bab Lisan al-Arab (in Arabic). Edited by: Abd al-Salam Harun, Part 8, Cairo, Al-Khanji Library, 1981.
- Al-Dura` , Qasim (2008) A critical reading of Habib Al-Zaeyoudi's poetic experience (in Arabic). Journal of Studies - Human and Social Sciences, University of Jordan, Vol. 35, No. 2.
- Al-Fazza, Ali (1996) Poetry Works (in Arabic). Edition 1, Amman, Ministry of Culture, Jordan.
- Al-Isfahani, Abu Al-Farah (1972), Strangers Literature (in Arabic). Beirut , Dar Al-Kitaab Al-Jadeed.
- Al-Jawziya, Ibn al-Qayyim (751 AH), Abu Abdullah Shams al-Din Muhammad ibn Abi Bakr bin Ayyub bin Saad bin Hariz al-Zari, Runways for the Walkers (in Arabic). Part 3, Tuning: Abd al-Ghani Muhammad Ali al-Farsi, First Edition , Dar al-Kotob Al-ilmiyah, Beirut
- Al-Kilani, Rashid Zaid (198-) Sizzling memories (in Arabic). Amman.
- Almas` fah , Majdoline (2014) The Image of the Fatherland in Habib Al-Zeyoudi's Poetry(in Arabic). Middle East University, Jordan, MA Thesis.
- ALmesleh, Ahmad, Humanitarian Concern in Arabic Poetry in Jordan: Mustafa Wahbi Al-Tal (Arar) as an example (in Arabic). Adhaat magazine
- Al-Naseer, Yassin (1985) The Problem of Place in the Literary Text: Critical Studies in Story and Poetry(in Arabic). Baghdad, Department of Cultural Affairs.
- Al-Nouri, Qais (1979) Alienation as a term and concept (in Arabic). Alam Al-Fikr magazine ,Part 10, vol.1.
- Al-Qaisi, Muhammad (1999) Poetry Works (in Arabic). The Arab Foundation for Studies and Publishing, Edition 2, Beirut.
- Al-Saboul, Tayseer (1980) The Complete Works (in Arabic). Dar Ibn Rushd, Beirut.
- Al-Sayed , Ismail Muhammad (2001) Building the Space of Place in the Arabic Short Story(in Arabic). Sharjah , Department of Culture.
- Al-Shalabi, Mahmoud (2007) The Complete Poetry Works (in Arabic). Edition 1, Amman, Al-Balqa Applied University.
- Al-Shita, Mr. Ali (1997) Alienation in Social Organizations (in Arabic). Cairo, Radiation Library.
- Al-Tal, Mahmoud Fadil (2006) Poetry Works (in Arabic). Amman, Ward House for Publishing and Distribution.
- Al-Tawhidi, Abu Hayyan, Ali bin Muhammad bin Al-Abbas Al-Tawhidi Al-Baghdadi (414 AH), The Divine Signs (in Arabic). edited by: Abdul Rahman Badawi, Beirut, House of Culture, 1973.
- Al-Tawhidi, Abu Hayyan, Ali bin Muhammad bin Al-Abbas Al-Tawhidi Al-Baghdadi, (414 AH), Insights and Ammunition (in Arabic). investigation by: Muhammad Al-Sayyid Othman, Dar al-Kotob Al-ilmiyah , Beirut.
- Al-Warqi, Al-Saeed, (1991) The Position from the city in Contemporary Arabic Poetry(in Arabic). Alexandria, University of Knowledge.
- Al-Zoubi, Ahmad (2007) The Stylistics of the Contemporary Poem, A Study of the Poetry Movement in Jordan and Palestine (1950-2000) (in Arabic). Amman, Dar Al-Shorouk.
- Al-Zoubi, Ziyad (2007) Ashayat Wadi Al-Yabis: Divan of Mustafa Wahbi Al-Tal (Arar) (in Arabic). Ministry of Culture, Amman – Jordan.
- Anabtawi, Dalal (2014) The Manifestations of Place in Ibrahim Nasrallah's Poetry (in Arabic). PhD Thesis, Yarmouk University, Jordan.
- Aqrabawi, Hakem (2008), a depositary stone in cities close to her name, Damascus, the Syrian General Book Authority.
- Ayyat, Hamid Kassab (2007) The Picture of Amman in Hasan Bakr Al-Azazi's Poetry, The Jordanian Journal of Arabic Language and Literature (in Arabic). Mu'tah University, Jordan, Vol. 3, P4.
- Bakhedra, Munis (2009) History – Awareness , Philosophical Approaches to the Dialectic of Raising Awareness of Reality (in Arabic). 1st Edition, The Contribution of Difference, Algeria.
- Balata, Issa Youssef (1960) The Romanticism and Its Landmarks in Modern Arabic Poetry(in Arabic). Beirut, Dar Al Thaqafa.

- Baraka, Al-Akhdar (2002) *The Countryside in Modern Arabic Poetry: A Reading in the Poetry of Place* (in Arabic). Dar Al-Gharb, Oran.
- Barakat, Halim (2006) *Alienation in Arab Culture: Human Labyrinths between Dream and Reality* (in Arabic). 1st Edition, Beirut, Center for Arab Unity Studies.
- Bint al-Shati ', Aisha Abd al-Rahman (1970), *New Values of Old and Contemporary Arabic Literature* (in Arabic). Dar Al Ma'arif, Egypt.
- Blacher, Gaston (2000) *Aesthetics of Place* (in Arabic). translated by Ghalib Halasa , Beirut, The University Foundation.
- Brishi, Mariamah (2015) *Alienation: Concept and Implications* (in Arabic). Journal of Humanities and Social Sciences - Qasdi Merbah University - Ouargla - Algeria, vol 18.
- Fahmy, Maher Hassan (1969) *Alienation in Arabic Literature* (in Arabic). Journal of the Arabic Language Academy in Cairo – Egypt , Part 25.
- Hammad, Muhammad Hassan Hammad (1995) *Alienation by Elric Fromm* (in Arabic). The Arab Foundation for Studies and Publishing , Beirut.
- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin Ali (711 AH), *Lisan al-Arab*(in Arabic). Commentary: Ali Shiri, 3rd floor, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
- Ibn Naji Muhammad, Lakhdar , (2013) *Alienation ... the poet ... the cit* (in Arabic). Al-Hikma Magazine, p. 17, Kunooz Al-Hikma Foundation for Publishing and Distribution, Algeria.
- Ismail, Ezz El-Din (1981) *Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic and Moral Phenomena* (in Arabic). 3rd Edition Dar Al-Awda, Beirut.
- Jaafar, Muhammad Radi (1999) *Alienation in Contemporary Iraqi Poetry , "The Pioneer Stage"*(in Arabic). Damascus , Arab Writers Union Publications.
- Jawad, Nuha Abbas (2006) *Alienation in the Iraqi Monodramatic Text* (in Arabic). MA Thesis, College of Fine Arts , University of Babylon.
- Kayali, Shahla (1997) *My Face Who Is There* (in Arabic). Amman, Ministry of Culture. .
- Khalifa, Mohamed Abdel-Latif (2003) *Studies in the Psychology of Alienation* (in Arabic).Dar Gharib, Cairo.
- Khalil, Ibrahim (2006) *from the Landmarks of Modern Poetry in Palestine and Jordan* (in Arabic). Edition 1, Amman, Majdalawi House.
- Lafi, Muhammad (2005) *The Scale of Life Is No Longer Green* (in Arabic). Creativity Series, Ministry of Culture, Jordan – Amman.
- Mahadin, Khaled (1990) *Poetry Works* (in Arabic). Edition 1, Amman, Jordan Press Foundation.
- Mahmoud, Haider (2001) *Poetry Works* (in Arabic) .Edition 1, Arab Foundation for Studies, Beirut.
- Majali, Muhammad Shaher (1993) *Revolution and Alienation in the poetry of the poet Mustafa Wahbi al-Tal (Arar)* (in Arabic). Mu'tah Journal for Research and Studies - Human and Social Sciences, Vol. 8, No. 6.
- Mansour, Abdullah (1993) *Poetry Works* (in Arabic). Part 2, 1st Edition, Amman, Ward House for Publishing and Distribution.
- Mansour, Abdullah (1993) *Poetry Works* (in Arabic). Edition 1, Amman, Carmel House for Publishing and Distribution.
- Mhabek, Ahmed Ziyad (1996) *The Poet and the City: A Reading in a Poetic Text* (in Arabic). Fosoul Magazine, The Egyptian General Authority for Book, Vol. 15, No. 4.
- Mo'nis, Habib (2001) *The Philosophy of Place in Arabic Poetry: An Aesthetic Topic Reading*(in Arabic). Writers Union Publications.
- Muslim Ibn Al-Hajjaj (2006) *Sahih Muslim* (in Arabic). investigation by Ibn Muhammad Al-Faryabi Abu Qutaybah, Dar Taibah.
- Najm al-Din, Kamal (1978) *The Place in the Poetic Text* (in Arabic). Beirut, Dar al-Kotob Al-ilmiyah .
- Nasrallah, Ibrahim (1994) *Poetry Works* (in Arabic). Edition 1, Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing.

- Nasrallah, Ibrahim (2007) *The Flute Chamber* (in Arabic). Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing.
- Nasrallah, Ibrahim (2009) *If I Were Maestro* (in Arabic). Beirut, Arab Science House.
- Omar, Abd Al-Rahim (1989) *The Complete Works of Poetry* (in Arabic). Amman Library Publications.
- Radwan, Abdullah (2001) *A Taste of Dust, Poetry Works* (in Arabic). Amman, Al-Kindi Publishing.
- Rajab, Mahmoud (1988) *Alienation: A Biography and Terminology* (in Arabic). 3rd Edition, Alexandria, Egyptian Knowledge Establishment.
- Schacht, Richard (1980) *Alienation* (in Arabic). translated by Kamel Youssef Chen, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut.
- Shabana , Nasser (2005) *A travel worthy of my residency* (in Arabic). 1st edition, Azmana Publishing House, Amman.
- Yusef, Muhammad Abbas (2004) *Alienation and Artistic Creativity* (in Arabic). Gharib Publishing House.
- Zalloum, Hammouda (2001) *The City in Jordanian Poetry* (in Arabic). Amman – Jordan.
- Zarqa, Yusef (2003) *Exile and its manifestations in Palestinian poetry* (in Arabic). Faculty of Arts, Islamic University, *Journal of the Islamic University*, Volume 11, No. 1.
- Ziada, Maan (1986) *The Arab Philosophical Encyclopedia* (in Arabic).Edition 1, Vol 1, Beirut, Institute of Arab History.
- Ziyudi, Habib (2009) *Nai Shepherd* (in Arabic). Ministry of Culture, Amman - Jordan